

مَسَائِدُ الْجَاهِلِيَّةِ

التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية

« أَلْفَ أَصْلَها »

« الامامُ مُحْيِي السُّنَّةِ ، وَتُجَدِّدُ شَبَابُهَا فِي جَزِيرَةِ الْعَمَلِ »

السَّيِّحُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

« وَتَوْسَعُ فِيهَا عَلَى هَذَا الْوَضْعِ »

« عَلَامَةُ الْعِرَاقِ »

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ سُكْرَى الْأَوَّلِيُّ

القاهرة

١٣٤٧

عُنِيَتْ بِنَشْرِهٖ

الْمُطْبَعَةُ السُّلَيْمَانِيَّةُ - وَمِنْ كُنُتُهَا
نُصَابِئًا : مَحَبَّةُ الْفَنِّ وَغَيْرُهَا

فهرس

﴿مسائل الجاهلية﴾

الصفحة	المادة
٣	اهداء الكتاب
٤	مقدمة الناشر
٩	خطبة الكتاب
١١	١ دعاء الصالحين
١١	٢ التفرق
١٢	٣ مخالفة ولي الأمر
١٣	٤ التقليد
١٤	٥ الاقتداء بالعالم الفاسق أو العالم الجاهل
١٥	٦ الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل
١٦	٧ الاحتجاج على الحق بقلة أهله
١٧	٨ الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً
١٨	٩ انخداع أهل القوة والخيالة بقوتهم وحيلتهم
٢٠	١٠ انخداع أهل الثروة بثروتهم

مسائل الجامعة

الصفحة	المادة
٢٣	١١ الاستخفاف بالحق لضعف أهله
٢٤	١٢ وصم أنصار الحق بما ليس فيهم
٢٥	١٣ التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء
٢٦	١٤ استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً
٢٦	١٥ جيلهم بالجامع والفارق
٢٩	١٦ الغلو في الصالحين
٣٠	١٧ الاعتذار بعدم الفهم
٣٢	١٨ إنكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم
٣٣	١٩ التمسك بخرافات السحر
٣٤	٢٠ التناقض في الانتساب
٣٤	٢١ صرف النصوص عن مدلولاتها
٣٤	٢٢ تحريف كتب الدين
٣٥	٢٣ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها
٣٥	٢٤ كفرهم بما مع غيرهم من الحق
٣٦	٢٥ ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها
٣٧	٢٦ إنكار ما أقرؤا أنه من دينهم
٣٨	٢٧ المجاهرة بكشف العورات
٤٠	٢٨ التعبد بتحريم الحلال

الصفحة	المائة	
٤٣	٢٩	الاحاد في أسماء الله وصفاته
٤٦	٣٠	نسبة النقائص الى الله
٥٠	٣١	تنزيههم المخلوق عما نسبوه الى الخالق
٥١	٣٢	قولهم بالتعطيل
٥١	٣٣	الشركة في الملك
٥٢	٣٤	انكار النبوات
٥٣	٣٥	جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله
٦٠	٣٦	مسبة الدهر
٦٢	٣٧	اضافة نعم الله الى غيره
٦٤	٣٨	الكفر بآيات الله
٦٥	٣٩	اختيار كتب الباطل ونبد آيات الله
٦٦	٤٠	القدح في حكمة الله
٧٠	٤١	الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم
٧٢	٤٢	الغلو في الأنبياء والرسل
٧٢	٤٣	الجدل بغير علم
٧٣	٤٤	الكلام في الدين بلا علم
٧٥	٤٥	الكفر باليوم الآخر
٧٥	٤٦	التكذيب بآية مالك يوم الدين

مسائل الجاهلية

الصفحة	السؤال
٧٦	٤٧ التّكذيب بآية لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
٧٦	٤٨ الخطأ في فهم معنى الشّفاعة
٧٧	٤٩ قتل أولياء الله
٨٨	٥٠ الإيمان بالحبّ والطّافوت (وانظر ص ١٤٢)
٩٠	٥١ لبس الحقّ بالباطل
٩٠	٥٢ الاقرار بالحقّ للتوصل الى دفعه
٩١	٥٣ اتّخاذ النبيين أرباباً
٩٢	٥٤ تحريف الكلام عن مواضعه
٩٤	٥٥ تلقيب أهل الهدى بالقاب غريبة
٩٨	٥٦ التّكذيب بالحقّ
٩٩	٥٧ الافتراء على المؤمنين
١٠٠	٥٨ رمي المؤمنين بالفساد في الأرض
١٠٠	٥٩ رمي المؤمنين بتبديل الدين
١٠١	٦٠ اتهام أهل الحقّ بالفساد في الأرض
١٠١	٦١ تناقض مذهبهم لما تركوا الحقّ
١٠٥	٦٢ دعواهم العمل بالحقّ الذي عندهم
١٠٦	٦٣ الزيادة في العبادة
١٠٦	٦٤ النقص من العبادة

المسألة	الصفحة
تعبدهم بترك الطيبات من الرزق	٦٥ ١٠٧
تعبدهم بالمكاء والتصدية	٦٦ ١٠٨
النفاق في العقيدة	٦٧ ١١٠
دعائهم الى الضلال بغير علم	٦٨ ١١٠
دعائهم الى الكفر مع العلم	٦٩ ١١٠
المكر الكبار	٧٠ ١١٠
حالة علمائهم	٧١ ١١١
زعمهم أنهم هم أولياء الله	٧٢ ١١٢
دعوى محبة الله مع ترك شرعه	٧٣ ١١٥
تمنيهم على الله الأمانى الكاذبة	٧٤ ١١٦
اتخاذ قبور الصالحين مساجد	٧٥ ١١٨
اتخاذ آثار الأنبياء مساجد	٧٦ ١٢٠
اتخاذ السرج على القبور	٧٧ ١٢٣
اتخاذ القبور أعياداً	٧٨ ١٢٣
الذبح عند القبور	٧٩ ١٢٤
التبرك بآثار المعظمين	٨٠ ١٢٦
الفخر بالأحساب	٨١ ١٢٧
الاستسقاء بالأفواء	٨٢ ١٢٧

مسائل الجاهلية

الصفحة	السؤال
١٢٧	٨٣ الطعن في الانساب
١٢٧	٨٤ النياحة
١٢٨	٨٥ تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه
١٣٠	٨٦ الافتخار بولاية البيت
١٣٢	٨٧ الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء
١٣٤	٨٨ الافتخار بالصنائع
١٣٥	٨٩ عظمة الدنيا في قلوبهم
١٣٧	٩٠ ازدراء الفقراء
١٤١	٩١ انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث
١٤٢	٩٢ ايمانهم بالجبت والطاغوت (وانظر ص ٨٨)
١٤٢	٩٣ كتمان الحق مع العلم به
١٤٣	٩٤ القول على الله بلا علم
١٤٣	٩٥ التناقض
١٤٤	٩٦ العيافة
١٤٤	٩٧ الطرق
١٤٤	٩٨ الطيرة
١٤٤	٩٩ الكهانة
١٤٤	١٠٠ التمسك الى الطاغوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا الصراط
المستقيم * والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى
آله وأصحابه الغر الميامين

أما بعد فيقول العبد المفتقر الى عفو الله وغفرانه محمود شكري
الألوسي البغدادي كان الله تعالى له ، وأحسن عمله : أي قد وقفت
على رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفوائد تشتمل على نحو مائة مسألة
من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من
الاميين والكتابين ، وهي أمور ابدعوها ما أنزل الله بها من
سلطان ولا أخذت عن نبي من النبيين . ألفها الإمام محيي السنة ،
ومجدد الشريعة النبوية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب
النجدي الحنبلي تغمده الله تعالى برحمته . قرأيتها في غاية الإيجاز ،
بل كادت تعد من قبيل الالغاز . قد عبر عن كثير منها بعبارة
مجمل ، وأتى فيها بدلائل ليست بمشروحة ولا مفصلة . حتى إن
من ينظرها ليظن أنها فهرس كتاب ، قد عدت فيه المسائل من

غير فضول ولا أبواب ، ولا شتمها على تلك المسائل المهمة الآخذة بيد المتمسك بها الى منازل الرحمة ، أحبيت أن أعلق عليها شرحاً يفصل مجملها ويكشف معضلها من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل . مقتصرأ فيه على أوضح الأقوال ومبيناً ما أورده من برهان ودليل ، عسى الله أن ينفع بذلك المسلمين ويهدي به من يشاء من عباده المتقين فيكون سبباً للأبواب ، والفوز يوم العرض والحساب ، والأمن من أليم العذاب ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال المصنف رحمه الله تعالى عليه :

هذه مسائل خائف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والاميين مما لا غنى لمسلم عن معرفتها فالضد يظهر حسنة الضد ، وبضدها تتميز الأشياء . وأهم ما فيها وأشدّه خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فإن انضاف الى ذلك استعسان دين الجاهلية والايان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون »

﴿ دعاء الصالحين ﴾

﴿ المسألة الاولى ﴾ : أنهم يتعبدون بأشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله لظنهم أنهم يحبون ذلك كما قال تعالى في أوائل الزمر « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون » وقال تعالى « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالاخلاص وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه المسألة هي الدين كله ولاجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولاجلها شرع الجهاد كما قال تعالى في البقرة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »

﴿ التفرق ﴾

﴿ الثانية ﴾ : أنهم متفرقون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة فأمرهم الله بالاجتماع ونهاهم عن التفرقة فقال عز ذكره

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » يقال أراد سبحانه بما ذكر ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاوت مائة وعشرين سنة إلى أن ألف سبحانه بينهم بالإسلام فزال الاحتقاد قاله ابن إسحاق وكان يوم بعث آخر الحروب التي جرت بينهم وقد فصل ذلك في الكامل . ومن الناس من يقول أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض ومنه حرب البسوس كما نقل عن الحسن رضي الله عنه وقال تعالى « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا » إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الخاصة على النهي عن الاستبداد والتفرق وعدم الاتقياد والطاعة مما كان عليه أهل الجاهلية

﴿ مخالفة ولي الأمر ﴾

﴿ الثالثة ﴾ : أن مخالفة ولي الأمر وعدم الاتقياد له عندهم فضيلة وبعضهم يجعله ديناً . فخالفهم النبي ﷺ في ذلك وأمرهم بالصبر

على جور الولاة والسمع والطاعة والنصيحة لهم وغاظ في ذلك وأبدى وأعاد . وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه عليه السلام « يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كره من أميره شيئاً فليصبر فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » وروى أيضاً عن جنادة بن أبي أمية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم . قال : دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومنكرها وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله الا ان تركوا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم الا من الاخلال بهذه النصيحة

﴿ التقليد ﴾

﴿ الرابعة ﴾ : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين كما قال

تعالى في الزخرف « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جثثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » فأمرهم الله تعالى بقوله في سورة الاعراف « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » وقال تعالى « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أول لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » الى غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربة التقليد لا يحكمون لهم رأيا ولا يشغلون فكرا فلذلك تاهوا في أودية الجهالة وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان

﴿ لا اقتداء بالعام الفاسق أو العابد الجاهل ﴾

﴿ الخامسة ﴾ : الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهاتهم وعبادهم فحذرهم الله تعالى من ذلك بقوله « يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » وقال تعالى « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » الى آيات أخر تنادي ببطلان الاقتداء بالفاسق وأهل الضلالة والغي وذلك من سنن أهل الجاهلية وطرائقهم

المعوجة

﴿ الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل ﴾

﴿ السادسة ﴾ : الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة من غير تحكيم العقل والأخذ بالدلائل الصحيح وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله في طه « قال فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبيلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم » الخ وقال تعالى في القصص « فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون » وقال عز ذكره في سورة المؤمنين « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره أفلا تتقون فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ان هو الا رجل به جنة فترصبوا به حتى حين » وقال تعالى في ص « وانطلق الملائكة منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا

نشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الاختلاق «
فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل
انه لم يكن عليه أسلافهم ولا عرفوه منهم . فانظر الى سوء مداركهم
وجود قرائنهم ولو كانت لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون
بها لعرفوا الحق بدليله وانقادوا لليقين من غير تعليله وهكذا
أخلافهم ووراثتهم قد تشابهت قلوبهم

﴿ الاحتجاج على الحق بقلة أهله ﴾

﴿ السابعة ﴾ : الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد
الاعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله فأنزل الله تعالى
ضد ذلك وما يظنه فقال في الانعام « وان تطع أكثر من في
الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم
الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »
قال الكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان
له بصيرة وقلب فالحق أحق بأحق بالاتباع وان قل أنصاره كما قال
تعالى « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من
الخطاة ينبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم » فأخبر الله عن أهل الحق انهم قليلون غير ان القلة
لا تضرهم

تعبّرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها إن الكرامَ قليلٌ^(١)
فالمقصود أن من له بصيرة ينظر الى الدليل ويأخذ ما يستنتجه
البرهان وإن قلّ العارفون به المنقادون له ومن أخذ ما عليه الأكثر
وما ألقته العامة من غير نظر لدليل فهو مخطيء سالك سبيل الجاهلية
مقدوح عند أهل البصائر

﴿ الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً ﴾

﴿ الثامنة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً فردّ
الله تعالى ذلك بقوله في هود « فلو لا كان من القرون من قبلكم
أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم
واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » ومعنى الآية
« فلو لا كان » تحضيض فيه معنى التفعّل ، أي فهلا كان « من
القرون » أي الأقوام المقتربة في زمان واحد « من قبلكم أولو بقية »
أي ذو خصلة باقية من الرأي والعقل أو ذو فضل على أن يكون
البقية اسماً للفضل والهاء^(٢) للنقل ومن هنا يقال فلان من بقية القوم
أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ،
« ينهون عن الفساد في الأرض » الواقع فيما بينهم حسبا ذكر في
قصصهم ، وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي ، « الا
قليلا ممن أنجينا منهم » استثناء منقطع أي ولكن قليلا منهم أنجينا

(١) لسؤال (٢) أي هام التايث في « بقية »

الكونهم كانوا ينهون

﴿ انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم ﴾

﴿ التاسعة ﴾ : الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم

أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله سبحانه في الاحقاف « فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أودينهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجبتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين . ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » ومعنى الآية « ولقد مكناهم » أي قوينا عاداً وأقدرناهم .

و« ما » في قوله تعالى فيما إن مكناكم فيه موصولة أو موصوفة و« ان » نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى « ألم يَرَوْا كم أنهنا كنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم » ولم يكن التقى باللفظ « ما » كراهة لتكرير اللفظ وإن اختلف المعنى « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة » يستعملونها فيما خفقت له ويعرفوا

لكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ، ويستدل بها على شئون منعمها عز وجل ويدأوموا على شكره جل ثناؤه « فما أغنى عنهم سمعهم » حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ، « ولا أبصارهم » حيث لم يجتنبوا بها الآيات التكوينية المرسومة في صحائف العالم ، « ولا أفئدتهم » حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى « من شيء » أي شيئاً من الأشياء ومن مزية للتوكيد وقوله « إذ كانوا يجحدون بآيات الله » تعليل للنفي « وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن » من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون « فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » فهذه الآية تبطل الاحتجاج بقوم أعطوا ما أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال . ألا ترى أن قوم عاد كما أخبر عنهم التنزيل كانوا من القوة والبسطة في الأموال والابدان والادراك وسعة الأذهان وغير ذلك مما لم يكن مثله للعرب الذين أدركوا الاسلام ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل وكذبوا الرسل بالباطيل فالتوفيق للإيمان بالله ورسله والاذعان للحق وسلوك سبيله إنما هو فضل من الله تعالى لا الكثرة مال ولا حسن حال ومن يرد الحق ويستدل بكون من هو أحسن حالاً منه

لم يقبله ولم يحكم عقله ويتبع ما يوصله اليه الدلائل فقد سلك سبيل
الجاهلية وحاد عن المحجة المرضية ، ومثل هذه الآية قوله تعالى
« وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين » . كان اليهود يعلمون من كتبهم
رسالة محمد ﷺ ، أن الله سيرسل نبياً كريماً من العرب وكانوا قبل بعثته
يستفتحون على المشركين ببعثته ويقولون يا ربنا أرسل النبي
الموعود برسالة حتى نتنصر على الأعداء فلما جاءهم ما عرفوا وهو
محمد ﷺ كفروا به حسداً منهم أن تكون النبوة في العرب وهم
بزعمهم أحسن أثاثاً ورثياً ولم يعلموا أن النبوة والايان بها فضل
من الله يؤتاه من يشاء . ومثلها أيضاً قوله تعالى « الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » الضمير في قوله
يعرفونه عائد على العلم في قوله « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما
جاءك من العلم أنك إذا لمن الظالمين » فكتمانهم الحق وعدم
جربهم على مقتضى علمهم لما فيهم من الجاهلية والاعتقاد أن فضل
الله مقصور عليهم لا يعمدهم إلى غيرهم وآية الانعام موافقة لهذه
الآية لفظاً ومعنى وهي قوله تعالى « قل أي شيء أكبر شهادة قل

الله شهيد بيني وبينكم وأوحى اليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو الله واحد واتى بريء مما تشركون . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون »

﴿ انخداع أهل الثروة بثروتهم ﴾

﴿ العاشرة ﴾ : الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله تعالى . قال سبحانه « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون . والذين يسعون في آياتنا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخْلِفُهُ وهو خير الرازقين » وقال في سورة القصص « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ننذر قومك ما أتاهم من نذير من قبلك فاعلمهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلناك

الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من
عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من
قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا
لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » وفي آية أخرى في سورة
القصص يقول الله سبحانه « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم
وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال
له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك
ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته
على عيم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو
أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » الى آخر
الآية فقد كفانا الله تعالى إبطال هذه الخصلة الجاهلية بقوله في الآية
الأولى « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء » وفي الآية الاخرى
بقوله « أولم يعلم ان الله » الخ فعلنا من ذلك ان محبة الله ورضاء
الله إنما تكون بطاعته والالتقياد لرساله والاذعان للحق باتباع البرهان .
وما كثرة من وسعة الرزق وعيش الرضاء فلا دليل فيه على نجاة

المنعم عليه بمثل ذلك ولو كانت الدنيا وما فيها تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى من عصاه شربة ماء قال سبحانه « ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم مسقى من فضة ومما راج عليها يظهرون » وعلى ذلك قول القائل ^(١) :
 كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ^(٢)
 ومما ينسب لبعض الأكابر :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال
 فان المال يفتى عن قريب وان العلم باق لا يزال
 والشواهد كثيرة والمقصود ان ما كان عليه أهل الجاهلية من
 كون زخارف الدنيا من الأدلة على قرب من حازها من الله وقبوله
 عنده فقول بعيد عن الحق ومذهب باطل لا ينبغي لمن له بصيرة
 أن يعول عليه

﴿ الاستخفاف بالحق لضعف أهله ﴾

﴿ الحادية عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ
 الضعفاء به وضعف فهم من أخذ به على ما يدل عليه قول قوم نوح له
 كما حكاه عنهم الكتاب الكريم قال تعالى في سورة الشعراء « كذب
 قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . أتئتي لكم

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى المشهور بابن الرواحي الملقب

(٢) ويعدّه : هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العلم التحرير زائفة

رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن اجريَ الا على رب العالمين : فاتقوا الله وأطيعون . قالوا أنؤمن لك واتبعتك الارذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين . ان أنا الا نذير مبين » فانظر الى قوم نوح كيف استنكفوا من اتباع نبيهم لسبب اتباع الضعفاء له وذلك لكون مطمح أنظارهم الدنيا والآل لو كانت الآخرة همهم لاتبعوا الحق اينما وجدوه ولكن لجاهليتهم أعرضوا عن الحق لاتباع شهواتهم . وانظر الى هرقل لما كان من العقل والبصيرة على جانب عظيم اعتقد اتباع الضعفاء دليلاً على الحق فقال في جملة ما سأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ : وسألتك اشراف الناس اتبعوه ثم ضعفاؤهم ؟ فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل . ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود : ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه اني لكم نذير مبين . ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم اليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلاًنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا باديئ الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل ننظكم كاذبين ، الآيات

﴿ ودمهم انصار الحق بما ليس فيهم ﴾

﴿ الثمانية عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية رمي من اتبع الحق بعدم الاخلاص وطب الدنيا . فرد الله عليهم بقول نبيهم الذي

حكاه الله عن نوح في الآية الاولى المذكورة في المسألة الحادية عشرة بقوله « قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون » . ومقصودهم ان اتباعك فقرا . آمنوا بك لينالوا مقصدهم من العيش لا ان ايمانهم كان لدلائل يقتضي صحة ما جئت به ، فلهذا رد عليهم بما رد

﴿ التكبير عن نصرة الحق لان انصاره ضعفاء ﴾

﴿ الثالثة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية . الاعراض عن الدخول في الحق الذي دخل فيه الضعفاء تكبراً وأنفة ، فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله في سورة الانعام « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتناً بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين » . ومثل ذلك قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الاعمى » وغير ذلك . وحاصل الرد ان من آمن من هؤلاء الضعفاء انما كان ايمانه عن برهان لا كإزعم خصومهم ولست أنت بمستول عنهم ولا هم مستولون عن حسابك ، فطردوهم عن باب الايمان من الظلم بمكان

﴿ استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً ﴾
 ﴿ الرابعة عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم
 أولى به لو كان حقاً . قال تعالى في سورة الاحقاف « وقال الذين
 كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به
 فسيقولون هذا فك قديم » بعد قوله « قل أرأيتم ان كان من عند
 الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأمن
 واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

﴿ جهلهم بالجامع والفارق ﴾

﴿ الخامسة عشرة ﴾ : الاستدلال بالقياس الفاسد وانكار
 القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق . قال تعالى في سورة
 المؤمنين « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
 يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في
 آياتنا الاولين . ان هو الا رجل به حنة فترصبوا به حتى حين »
 وقبل الآية « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه » شروع في بيان اهمال
 الناس وتركهم النظر والاعتبار فيما عند سبحانه وتعالى من النعم
 قبل هذه الآية ومن خافهم من زوالها وفي ذلك تخويف لقريش .
 وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه .
 فقال متعظاً عليهم ومستميلاً لهم الى الحق « يا قوم اعبدوا الله » أي

اعبدوه وحده «مالك من آله غيره» استئناف مسوق لتعليل العبادة
 بالمأمور بها «أفلا تتقون» الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف
 على مقدر يقتضيه المقام أي أتعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى
 «ما لكم من إله غيره» فلا تتقون عذابه تعالى الذي يستوجبه
 ما أنتم عليه من ترك عبادته سبحانه وحده وإشراككم به عز وجل
 في العبادة مالا يستحق الوجود - لولا إيجاد الله إياه - فضلا عن
 استحقاق العبادة، فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه «فقال المأذ»
 أي الإشراف «الذين كفروا من قومه» وصف الملائكة بالكفر مع
 إشراك الكل فيه لا يذنبون بكلمة عرائقهم وشدة شكيتهم فيه
 وليس المراد من ذلك إلا ذمهم دون التميز عن إشراف آخرين
 آمنوا به عليه السلام أولم يؤمن به أحد من أشرفهم كما يفصح عنه
 قوله «ما تراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا» وهذا القول صدر
 منهم لعوامهم «ما هذا إلا بشر مثلكم» أي في الجنس والوصف من
 غير فرق بينكم وبينه، وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع
 رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة، وصفوه بقوله سبحانه وتعالى
 «يريد أن يتفضل عليكم» أغضاباً للمخاطبين عليه عليه السلام وأغراء
 لهم على معاداته . والتفضل طلب الفضل وهو كناية عن السيادة كأنه

قيل يريد أن يسودكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم .
 «ولو شاء الله لانزل ملائكة» بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق
 على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أي ولو شاء الله
 تعالى إرسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل
 لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال «ما سمعنا بهذا
 في آياتنا الاواين» هذا اشارة الى الكلام المتضمن الامر بعبادة
 الله عز وجل خاصة ، والكلام على تقدير مضاف أي ما سمعنا
 بمثله هذا الكلام في آياتنا الماضية قبل بعثته عليه السلام . وقدر
 المضاف لان عدم السماع لكلام نوح المذكور لا يصلح للرد فان
 السماع مثله كن في القبول «ان هو الا رجل به جنة» أي ما هو الا
 رجل به جنون أو جن يخلونه ولذلك يقول ما يقول «فتربصوا به
 حتى حين» فاحتملوه واصبروا عليه وانتظروا لعله يفيق مما هو فيه
 محمول على مراعي أحوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما
 وصفوه عليه السلام به من البشرية واردة التفضل الى وصفه بما
 ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا
 وهو محمول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قائلهم الله تعالى أنى
 يؤفكون . وقيس الفاسد والصحيح والجامع والفارق مفصل في
 كتب الاصول ، فبين الرسل عليهم السلام وسائر الناس مشابة من

جهة البشرية ولوازمها الضرورية فيصح حينئذ قياس الرسل على غيرهم فيها وعليه قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم ». وبين الرسل والأنبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر فروق كثيرة منها أن الله تعالى اصطفاهم على الناس برسالاته وبكلامه ووحيه وخصهم بذلك فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة كما لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضع . فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاسد ولا عرفوا الجامع ولا الفارق كما سمعت من قياسهم الرسل على غيرهم وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم

﴿ اتعالموا في الصالحين ﴾

﴿ السادسة عشرة ﴾ : اتعالموا في الصالحين من العلماء والاولياء كقوله تعالى في سورة التوبة « وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » فاتخاذ أحبار الناس أرباباً يحللون ويحرمون ويتصرفون

في الكون وينادون في دفع ضرر أو جلب نفع من جاهلية الكتائين ،
ثم سرى الى غيرهم من جاهليه العرب ، ولهم اليوم بقايا في مشارق
الارض ومغاربها تصديقاً لقول النبي ﷺ « لتبعن سنن من كان
قبلكم » الحديث . حتى نرى غالب الناس اليوم معرضين عن الله
وعن دينه الذي ارتضاه متوغلين في البدع تائبين في أودية الضلال
معادين للكتاب والسنة ومن قام بهما فأصبح الدين منهم في أنين
والاسلاء في بلاء مبين . وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ الاعتذار بعدم الفهم ﴾

﴿ السابعة عشرة ﴾ : اعتذارهم عن اتباع الوحي بعدم الفهم
قال تعالى في سورة البقرة « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من
بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكذبكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون . وقالوا قلوبنا غلظت بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً
ما يؤمنون » وفي سورة النساء « فجاء تقضهم ميشاقهم وكفرهم بآيات
الله وقضهم لا نبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلظت بل طبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » . الغلظ جمع أغلظ كاحمر وحمر ،
وهو الذي لا يفقه . وأصله ذو القلفة الذي لم يخن أو جمع غلاف
ويجمع على غلف بضمهين أيضاً ، وأرادوا على الاول قلوبنا مغشاة

بأغشية خلقية مانعة عن نفوذ ماجئت به فيها . وهذا كقولهم قلوبنا في أكنة مما يدعوننا اليه . قصدوا به اقنط النبي ﷺ عن الاجابة وقطع طمعه عنهم بالكلية . ومنهم من قال معنى غلف مغشاة بعلوم من التوراة تحفظها أن يصل اليها ما تأتي به ، أو بسلامة من الفطرة كذلك . وعلى الثاني أنها أوعية العلم فلو كان ما تقوله حقاً وصدقاً لوعته . قال ابن عباس وقتادة والسدي : أو مملوءة علماً فلا تسم بعدُ شيئاً فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . ومنهم من قال : أرادوا أنها أوعية العلم فكيف يحل لنا اتباع الامي . ولا يخفى بعده . وقال تعالى في سورة هود « ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصابكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم يبعد . واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربي رحيم ودود . قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزیز » وهذه الآية بمعنى الآية الاولى . وقد كذبهم الله تعالى في دعواهم هذه في آيات كثيرة وذكر أن السبب في عدم الفهم انما هو الطبع على القلوب بكفرهم لا القصور في انبياء والتفهيم . وما أحسن قول القائل (١) :

والنجمُ تستصغرُ الابصار صورته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

﴿ انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم ﴾

﴿ الثامنة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية أنهم لا يقبلون من الحق إلا ما تقول به طائفتهم قال تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين » . ومعنى « نؤمن بما أنزل علينا » أي نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل في تقرير حكمها، ومرادهم بضمير أنتمكم إنما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر وفيه إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم وأما أنفسهم . ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام . وذهبوا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة ، أو لأنهم تأولوا الأمر المطلق العام ونزوله على خاص هو الإيمان بما أنزل عليهم كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه . ويكفرون بما وراءه وهو الحق أي هم مقارنون لحقيقته أي عالمون بها « مصدقاً لما معهم » لأن كتب الله

يصدق بعضها بعضاً ، فالتصديق لازم لا ينتقل وقد قررت مضمون الخبر لأنها كالأستدلال عليه ولهذا تضمنت رد قولهم : نؤمن بما أنزل علينا حيث أن من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها . « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » أمر النبي ﷺ أن يقول ذلك تبكيئاً لهم حيث قتلوا الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة وهي لا تسوغه

﴿ التمسك بخرافات السحر ﴾

﴿ التاسعة عشرة ﴾ : من خصالم الاعتياض عن كتاب الله تعالى بكتب السحر كما قال تعالى في سورة البقرة « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ماتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » والكلام على هذه الآية في التفاسير مشهور . وهذه الخصلة الجاهلية موجودة اليوم في كثير من الناس ، لاسيما من تنسب إلى

الصالحين وهو عنهم بمراحل ، فيتعاطى الاعمال السحرية من امساك الحيات وضرب السلاح والدخول في النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله فأعرضوا ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما ألقاه اليهم شياطينهم وادعوا أن ذلك من الكرامات مع أن الكرامة لا تصدر عن فاسق ومن يتعاطى تلك الاعمال فسقهم ظاهر للعيان ولذا اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وفي مثلهم قال تعالى « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

﴿ التناقض في الانتساب ﴾

﴿ العشرون ﴾ : تناقضهم في الانتساب فينتسبون الى ابراهيم عليه السلام والى الاسلام ، مع اظهارهم ترك ذلك والانتساب الى غيره .

﴿ صرف النصوص عن مدلولاتها ﴾

﴿ الحادية والعشرون ﴾ : تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . ولكم في هذا العصر من هو على شاكلتهم تراء يصرف النصوص ويأوتها الى ما يشتهي من الأهواء

﴿ تحريف كتب الدين ﴾

﴿ الثانية والعشرون ﴾ : تحريف العلماء لكتب الدين . قال الله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا انماي وان هم

الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون « ومن نظر الى قضاة هذا الزمان وما تلاءموا به من الاحكام وصرف النصوص الى ما تهواه أنفسهم وتبديل الحق وابطاله بما ينالونه من الرشى وغير ذلك مما هم عليه اليوم تبين له من ذلك بحر لاساحل له . وهكذا بعض المبتدعة وغلاة القبور ، وقد يتن حالهم في غير هذا الموضع

﴿ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها ﴾

﴿ اثنا عشر ﴾ : وهي من أعجب المسائل والخصائص معاداة الدين الذي انتسبوا اليه أشد العداوة ، وموالاتهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكل الموالاة ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهو من دين آل فرعون ، ومثل هؤلاء في الأمة الاسلامية كثير هجروا السنة وعادوها ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم

﴿ كفرهم بما مع غيرهم من الحق ﴾

﴿ الرابعة والعشرون ﴾ : انهم لما افترقوا وكل طائفة لاتقبل من الحق الا ما قالته طائفتهم وكفروا بما مع غيرهم من الحق . قال تعالى في سورة البقرة « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة
فما كانوا فيه يختلفون ، ولا شك ان هذا من خصال الجاهلية وعليها
اليوم كثير من الناس لا يعتقد الحق الا معه لا سيما أرباب المذاهب
يرى كل أهل مذهب ان الدين معه لا يعدوه الى غيره وكل حزب
بما لديهم فرحون

وكل يدعى وصلابليلى وليلى لا تقر لهم بذلك
والحزم أن ينظر الى الدليل فما قام عليه الدليل فهو الحق
الآخرى ان يتلقى بالقبول وما ليس عليه برهان ولا حجة ينبذ وراء
الظهور وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد الا من اصطفاه الله لرسالته
﴿ دعاء كل طائفة حصر الحق فيها ﴾

﴿ الخامسة والعشرون ﴾ : انهم لما سمعوا قوله ﷺ في
حديث الفرق « وستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
الا واحدة » ادعى كل فرقة انها هي الناجية كما حكى الله تعالى
عن اليهود والنصارى في قوله تعالى « وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » مع
أن النبي ﷺ بين في آخر الحديث المراد من الفرقة الناجية
فقال « وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي » أو كما قال ، ورد الله تعالى
عليهم بقوله « وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى

تلك أمانتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا يحزنون» والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدعوى بل الدليل على خلاف ذلك ، وأبو العباس تقي الدين تكلم على حديث الفرق في كتابه (منهاج السنة) بما لا مزيد عليه حيث استدلل به الرافضي على حقية مذهبه وبطلان مذهب أهل السنة ، فراجع ان اردته

﴿ أنكر ما أقروا انه من دينهم ﴾

﴿ السادسة والعشرون ﴾ : أنهم أنكروا ما أقروا انه من دينهم كما فعلوا في حج البيت فتمبدوا بالنكارة والبرادة منه مع ذلك الاقرار كما قال تعالى في سورة البقرة « وإذ جمعنا لبيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » الى أن قال « ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لك الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون »

يقال ان سبب نزول قوله « ومن يرغب » الخ ما روى ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال : قد علمنا ان الله تعالى قال في التوراة « اتي باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اعتسى ودرشد » ومن لم يؤمن به

فهو ملعون ، فأسلم سلمة وأبو مهاجر فقتلت . انتهى
﴿ المجاهرة بكشف العورات ﴾

﴿ السابعة والعشرون ﴾ : المجاهرة بكشف العورات . قال تعالى في سورة الاعراف « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون » قال بعض المفسرين : الفاحشة هنا الفعلة القبيحة المتناهية في القبح ، والتاء اما لأنها مجرأة على الموصوف المؤنث أي فعلة فاحشة ، ولما للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها هنا عبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف ونحو ذلك . وعن غيره ، تخصيصها بكشف العورة وفي الآية حذف أي : وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها محتجين بأمرين : بتقليد الآباء ، والاقتراء على الله . وكان من سنة الحنس انهم لا يخرجون أيام الموسم الى عرقت ، انما يقفون بالمزدلفة . وكانوا لا يسلاون ولا ياقطون ولا يرتبطون عتراً ولا بقرة ولا يغزلون صوفاً ولا وبراً ولا يدخلون بيتاً من الشعر والمدر وانما يكتنون بالقياب الحرفي الاشهر الحرم ، ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل اذا دخلوا الحرم وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم إما شراء

وإما عارية وإما هبة ، فإن وجدوا ذلك فيها والا طافوا بالبيت عرايا . وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير أن المرأة كانت تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير . قالت امرأة ^(١) وهي تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
أختم مثل القعب بادر ظله كأن حصى خيبر تملأه
وكلفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من
عرفة إلى غير ذلك من الأمور التي ابتدعوها وتشرعوها مما لم يأذن
به الله . ومع ذلك انهم كانوا يدعون انهم على شريعة أبيهم ابراهيم
عليه السلام وما ذلك إلا جاهليتهم

وغالب من ينتمي إلى الاسلام اليوم ابتدعوا في الدين ما لم
يأذن به الله : فمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة
يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده ، ومنهم من اتخذ الطواف على
القبور والسفر إليها والنذور أخلص عبادته وأفضل قرباته ، ومنهم
من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية وزعم أنه سلك سبيل الزهاد
وطريق العباد ومقصده الأعلى نيل شهواته الحيوانية والفوز بهذه
الدنيا الدنية ، إلى غير ذلك مما يطول ولا يعلم ماذا يقول

إلى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

(١) هي ضباعة بنت عمر بن صعصعة

﴿ التعبد بتحريم الحلال ﴾

﴿ الثامنة والعشرون ﴾ : التعبد بتحريم الحلال فردّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي لآئذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ، ومعنى الآيات : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند طواف أو صلاة ، وسبب النزول انه كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعاق على سفها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحر من الذباب وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
فأنزل الله تعالى هذه الآية « وكلوا واشربوا »
قال السكبي : كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية

وفيه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا « ولا تسرفوا » بتحريم
 الحلال كما هو المناسب لسبب النزول ، « انه لا يحب المسرفين » بل
 يبغضهم ولا يرضى أفعالهم . « قل من حرم زينة الله التي أخرج
 لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به وخلقه انفعهم من الثياب
 كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف « والطيبات من الرزق »
 أي المستلذات ، وقبل المحللات من المآكل والمشارب كلحم الشاة
 وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم
 بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى ، والكفرة وان شاركهم
 فيها فباتبع فلا اشكال في الاختصاص « خالصة يوم القيامة » أي
 لا يشاركهم فيها غيرهم « كذلك نفصل الآيات تقوم يعلمون »
 أي مثل تفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لمن يعلم ما في
 تضامينها من المعاني الرائقة . « قل انما حرم ربي الفواحش » أي
 ما تزايد قبحه من المعاصي ومنه ما يتعلق بالفروج ، « ما ظهر منها
 وما بطن » بدل من الفواحش ، أي جهرها وسرها ، وعن البعض
 « ما ظهر » الزنا علانية « وما بطن » الزنا سرا وكانوا يكرهون الاول
 ويفعلون الثاني فنهوا عن ذلك مطلقاً . وعن مجاهد « ما ظهر » التعري في
 الطواف « وما بطن » الزنا . والبعض يقول : الاول طواف الرجال
 بالتمار والثاني طواف النساء بالليل عاريات . « والائمه » أي ما يوجب
 الائم وأصله الدم ثم أطلق على ما يوجب من مطلق الذنب ، وذكر

لتعميم بعد التخصيص بناء على ما تقدم من معنى الفواحش . ومنهم من قال : ان الائم هو الخرو عليه أهل اللغة ، وأنشدوا له قول الشاعر :

نهانا رسولُ الله أن تقرب الزنا
وأن تشرب الائم الذي يوجب الوزرا
وقول الآخر :

شربت الائم حتى ضل عقلي
كذلك الائم يذهب بالعقول

«والبغي بغير الحق» وهو الظلم والاستطالة على الناس، وأفرد
بأنه كان بناء على التعميم لئلا يجهل في الفواحش المبالغة في
الزجر عنه «وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على
الله ما لا تعلمون» بالاحاد في صفاته والاقتراء عليه كقولهم: والله
أمرنا بها . ولا يخفى أن متصوفة زماننا على هذه الخصلة الجاهلية
فقد حرموا على أنفسهم زينة الله والطيبات من الرزق ليعتقد الناس
صلاحهم وابتدعوا الخلوات والرياضات وغير ذلك من شعائرهم في
المأكل والملبس وسائر شئونهم ومادروا أنهم بذلك من اقوم الذين
ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿الاحاد في اسماء الله سبحانه وصفاته﴾

﴿التاسعة والعشرون﴾ : الاحاد في اسمائه وصفاته . قال سبحانه في سورة الاعراف « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » تفسير هذه الآية : « ولله الاسماء الحسنى » تنبيه المؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخاين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق بشأنه أثر بيان غفاتهم التامة وضلاتهم الطامة « فادعوه بها » إمامن الدعوة بمعنى التسمية كقولهم دعوت زيدا أو يزيد أي سميته ، أو النداء بمعنى النداء كقولهم دعوت زيدا أي ناديته ، « وذروا الذين يلحدون في اسمائه » أي يملون وينحرفون فيها عن الحق الى الباطل يقال ألحد اذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه ألحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فإنه في وسطه . والاحاد في اسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسداً كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك ، فالمراد بترك الأمور به الاجتناب عن ذلك ، وباسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون به . وقال تعالى « كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم انتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم

يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه
 متاب « وهذه الآية في سورة الرعد . عن قتادة وابن جريج
 ومقاتل ان الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح
 يوم الحديبية وقد كتب فيه علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم
 فقال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن إلا مسيلة ، ومنهم من قال
 سمع أبو جهل قول رسول الله ﷺ يا الله يا رحمن فقال : ان محمداً
 ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين قتلت . وعن بعضهم أنه
 لما قيل لكفار قريش : اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قتلت .
 وقيل غير ذلك مما يطول . وقال تعالى « وقانوا الجلودهم لم شهدتم
 علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . وهو خلقكم أول مرة
 وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
 ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذاكم ظنكم
 الذي ظننتم بربكم أوداكم فأصبحتم من الخاسرين » . من سورة
 حم السجدة . وفي هذه الآية أخبار أن أهل الجاهلية كانوا يلحدون
 في صفاته كما كانوا يلحدون في أسماءه تعالى . أخرج أحمد والبخاري
 ومسلم والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن مسعود ^(١) قال : كنت

(١) في الأصل : بني مسعود ، وهو خطأ صحيحه من فتح الباري (٨ : ٣٩٧)
 ونيسر نصوص (١ : ١٢٥)

مستنداً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفني
 وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل عفة قلوبهم فتكلموا بكلام لم
 أسمعهم . فقال أحدهم : أترون الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر :
 إنا إذا رفعنا أصواتنا يسمعه وإذا لم نرفع لم يسمع . فقال الآخر :
 إن سمع منه شيئاً سمعه كله . قال فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل
 الله تعالى « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا
 جلودكم ولكن ظننتم أن الله يعلم كثيراً مما تعملون — إلى قوله —
 من الخاسرين » . فهذا هو الاتحاد في الصفات . وأنت تعلم أن
 ما عليه أكثر المتكلمين المنسحين من الاتحاد في الاسماء والصفات
 فوق ما كان عليه أهل الجاهلية فسموا الله بأسماء ما أنزل الله بها
 من سلطان . ومنهم من قال ليس لله صفات قامت به ، ومنهم من
 قل صفاته ليست عين ذاته ولا غيره ، ومنهم من قل أن صفاته
 غيره ، ومنهم من قل أن الله لا يتكلم بالكتب التي أنزلها وأثبتوا له
 الكلام النفسى وأنه لم يكلم أحداً من رسله ، إلى غير ذلك من
 الاتحاد الذي حشوا به كتبهم وملاؤها من هذا الهذيان وظنوا أن
 الآية مختصة بأهل الجاهلية وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها
 ومن بصره الله تعالى ونور قلبه أعرض عن أخذ عقائده من كتب
 هؤلاء الطوائف وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على
 نصوص الكتاب والسنة

﴿نسبة النقائص الى الله سبحانه﴾

﴿الثلثون﴾ : نسبة النقائص اليه سبحانه كالولد والحاجة فان
 النصارى قالوا : المسيح ابن الله ، وطائفة من العرب قالوا : الملائكة
 بنات الله ، وقوم من الفلاسفة قالوا بتوليد العقول ، وقوم من اليهود
 قالوا العزيز ابن الله الى غير ذلك . وقد نزه الله نفسه عن كل ذلك
 ونفاه عنه بقوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
 ولم يكن له كفواً أحد » وبقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد
 الله وانهم لكاذبون » وقوله « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم
 وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع
 السماوات والارض لئى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل
 شيء وهو بكل شيء عليم » وهذا يعم جميع الانواع التي
 تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد
 يعم أيضاً جميع أنواع الاتخاذات لا اصطفاؤه كما قال تعالى « وقالت
 اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم
 بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك
 السماوات والارض وما بينهما واليه المصير » قال السدى : قالوا ان
 الله تعالى أرحى الى اسرائيل ان ولدك بكوى من الولد فأدخلهم
 النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي

مناد اخرجوا كل مختون من بني اسرائيل وقد قال الله تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله » وقال « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن » وقال تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً » وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني آله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال سبحانه وتعالى « وقال الله لاتتخذوا آلهين اثنين انما هو آله واحد قايي فارهبون وله ما في السماوات والارض وله الدين واصبا » الى قوله « ويجعلون لهما ليعلمون نصيبا » الى قوله « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » وقال الله تعالى « ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً . أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولاً عظيماً . ولقد صرفنا في هذا القرآن لذكروا وما يزيدهم الا نفوراً » « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لا بتغوا الى ذي العرش سيلاً » وقال « فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون » أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون الا انهم

من انكهم ليقولون ولّد الله وانهم لسكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون . سبّحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صالح الجحيم » وقال « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثائمة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى أن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى - الى قوله - ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى » وقال تعالى « وجعلوا له من عباده جزءا » قال بعض المفسرين جزءا أي نصيبا وبعضا ، وقال بعضهم : جعلوا لله نصيبا من الولد . وعن قتادة ومقاتل عدلا ، وكلا القولين صحيح فانهم يجعلون له ولداً وتولّد يشبه أباه ، ولهذا قال « واذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسودا » أي البنات كما قال في الآية الأخرى « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظلم » فقد جعلوا للرحمن مثلا وجعلوا له من عباده جزءاً فان الولد جزء من الوالد قال عليه السلام « إنما فاطمة بضعة مني » وقوله : « وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير

علم « قال السكبي نزلت في الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان
خالق النور والناس والدواب ، وابليس خالق الظلمة
والسباع والحيات والعقارب . وأما قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة
نسباً » فقولهم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنّاً
لاختفائهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقادة . وقيل قالوا
لحي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس : هم بنات الله .
وقال السكبي قالوا لعنهم الله بل بذور يخرج منها الملائكة وقوله
« خرقوا له بنين وبنات بغير علم » قال بعض المفسرين : هم كفار
العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله ، واليهود قالوا عزير ابن
الله والذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما
نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نفاه عنه
بامتناع صاحبة وبامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد . وقوله « ولم
يكن له صاحبة » وهذا لأن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء
في ذلك تولد الاعيان - التي تسمى الجواهر - وتولد الاعراض
والصفات ، بل ولا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد
فاذا امتنع أن تكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد ، وقد علموا
كلهم أن لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من
الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة فلماذا احتج بذلك عليهم .

وما حكى عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر وذلك ان كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، وكذلك ما قاله النصارى من أن المسيح ابن الله وما قاله طائفة من اليهود ان العزيز ابن الله فانه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا . وتعمم الكلام في هذا المقام في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) و (تفسير سورة الاخلاص) وغيرها من كتب شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه

﴿ تنزيههم المخلوق عما نسبوه للمخالق ﴾

﴿ المسألة الحادية والثلاثون ﴾ : تنزيه المخلوق عما نسبوه للمخالق مثل تنزيه اخبارهم عن اولاد والزوجة لأنهم يقولون ان الراغبين في استحصان السككيات كالرهبان واضرابهم يترفعون عن أن يتدنسوا بدناءة الختم بالنساء اقتداء بالمسيح عليه السلام . فانظر الى سخافة العقول وما قادم اليه ضلالهم حتى اعترضوا على سيدنا ومولانا محمد ﷺ في زواجه . وما أحسن ما قال الفاروقي (١) رداً على بعض اخبار النصارى بقوله :

قل للفرس قلدة الرهبان الجائليق البترك الرباني
أنت الذي زعم الزواج تقيصة ممن حماه الله عن نقصان

(١) عبد الباقي العمري من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري

ونسيت تزويج الآله بمریم في زعم كل مثلث نصراني
ومن جعل من العرب الملائكة بنات الله كان يأنف منهن
وسنّ وأدهن وقتلن ونسبوا لله ما يكرهون . والمقصود ان هذه
المقالات وأشباهها منشأها الجهل بما جاءت به الرسل وعدم تحكيم
العقل والأفاهل البصائر لا يتطرق اليهم هذا الخلل والله الموفق
﴿ قولهم بالتعطيل ﴾

﴿ الثانية والثلاثون ﴾ : القول بالتعطيل كما كان يقوله آل
فرعون . والتعطيل انكار أن يكون للعالم صانع كما قال فرعون لقومه
« ما علمت لكم من إله غيري » ونحو ذلك ولم يخل العالم عن مثل
هذه الجهالات في كل عصر من العصور ، وابتداء هذا الزمان الا
النادر على هذه العقيدة الباطلة ، ولو نظروا بعين الانصاف والتدبر
لعلموا أن كل موجود في العالم يدل على خاتمه وبأثره :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ومن أين للطبيعة إبداع مثل هذه الدقائق التي نجدها في
الآفاق والأنفس وهي عديدة الشعور لا علم لها ولا فهم . تعالى الله
عما يقولون علواً كبيراً

﴿ شرعة في الملك ﴾

﴿ الثالثة والثلاثون ﴾ : الشرعة في الملك كما تقوله المجوس .

والمجوس أمة تعظم الانوار والتيران والماء والأرض ويقرون بنبوة
 زرادشت ولهم شرائع يصيرون اليها . وهم فرق شتى منهم المزدكية
 اصحاب مزدك الموبذ والموبذ . عندهم العالم القدوة ، وهؤلاء
 يزون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء
 والطرق وغيرها . ومنهم الخرمية اصحاب مالك الخرمي وهم شر
 طوائفهم لا يقرون بصالح ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام
 وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والنسكية
 والورزية والحاكية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية
 فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفانون في التفضيل . فالمجوس
 شيوخ هؤلاء كلهم وائمتهم وقدوتهم وان كان المجوس قد يتقيدون
 بأصل دينهم وشرائعهم وهؤلاء لا يتقيدون بدين من دينات العالم
 ولا بشريعة من الشرائع

﴿ انكار النبوات ﴾

﴿ الرابعة والثلاثون ﴾ : انكار النبوات . وكانوا يقولون ما
 حكى الله عنهم بقوله في الانعام : اولئك الذين هدى الله فبهداهم
 اقتدره قل لا اسألكم عليه أجراً ان هو الا ذكرى للعالمين . وما
 قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء . قل
 من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه
 قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمهم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون « تفسير هذه الآية قوله « وما قدروا الله » شروع في تقرير أمر النبوة بعد ما حكى سبحانه عن ابراهيم عليه السلام أنه ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك وقرر سبحانه ذلك بأوضح الدليل بأوضح وجه « حق قدره » أي حق معرفته . وعن بعضهم ما عظموا الله حق تعظيمه إذ قالوا منكرين ببعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما « ما أنزل الله على بشر من شيء » أي شيئاً من الاشياء . واختلف في قائل ذلك القول الشنيع ، فمن مجاهد أنهم مشركو قريش والجهور على أنهم اليهود . ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ﷺ على سبيل تمباغة ، فقبل لهم على سبيل الالتزام « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » فإن المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل لكم الى انكار ذلك ، فلم لا تجوزون انزال القرآن على محمد ﷺ . والكلام في اثبات النبوات مفصل في غير هذا الموضع . والمقصود ان انكارها من سنن الجاهلية ، وفي الناس اليوم كثير ممن هو على شا كلتهم ومعوج طريقهم

﴿ جحدوا قدره واحتجاجهم به على الله ﴾

﴿ الخامسة والثلاثون ﴾ : جحدوا قدره واحتجاجهم به على الله تعالى ومعارضة شرع الله بقدر الله . وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين والوقوف على مرها عسراً لا على من وفقه الله تعالى ، ولا بن

القيم كتاب جليل في هذا الباب سماه (شفاء العليل ، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وقد أبطل الله سبحانه هذه العقيدة الجاهلية بقوله تعالى في آخر سورة الانعام « سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء . كذلك کذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هو عندکم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وان أنتم الا تخرجون ، قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداکم أجمعين » تفسیر هذه الآية « سيقول الذين اشرکوا » حکایة لکن آخر من أباطيلهم « لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » لم يريدوا بهذا الکلام الاعتذار عن ارتکاب القبیح إذ لم یعتقدوا قبح أفعالهم ، بل هم کما نطقت به الآيات يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وأنهم إنما یعبدون الاصنام یقربوهم الى الله زلفی وان التحريم إنما کان من الله عز وجل فما مرادهم بذلك الا الاحتجاج على أن ما ارتکبوه حق ومشروع ومرضى عند الله تعالى ، على أن المشیئة والارادة تساوي الأمر وتستلزم الرضا كما زعمت المعتزلة فيکون حاصل کلامهم ان ما نرتکبه من الشرك والتحريم وغيرهما تعلقت به مشیئة الله تعالى وارادته وكل ما تعلقت به مشیئته سبحانه وارادته فهو مشروع ومرضى عند الله تعالى . وبعد أن حکى سبحانه وتعالى ذلك عنهم رد عليهم بقوله عز من قائل « كذلك کذب الذين من قبلهم » وهم أسلافهم

المشركون . وحاصله أن كلامهم يتضمن تكذيب الرسل عليهم السلام وقد دلت المعجزة على صدقهم . أو تقول حاصله ان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، وكل ما هذا شأنه فلا تكليف به لسكونه مشروطا بالاستطاعة فينتج أن ما ارتكبه من الشرك وغيره لم يتكلف بتركه ولم يبعث له نبي . فردّ الله تعالى عليهم بأن هذه كلمة صدق أريد بها باطل لأنهم أرادوا بها أن الرسل عليهم السلام في دعواهم البعثة والتكليف كاذبون . وقد ثبت صدقهم بالدلائل القطعية ، والكون ذلك صدقاً أريد به باطل ذمهم الله تعالى بالتكذيب . ووجوب وقوع متعلق المشيئة لا ينافي صدق دعوى البعثة والتكليف لأنها لاظهار الحاجة وإبلاغ الحاجة «حتى إذا ذاقوا بأسنا» أي نالوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم بتكذيبهم وفيه إيحاء إلى أن لهم عذاباً مدخراً عند الله تعالى لأن الذوق أول ادراك الشيء . « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » أي هل لكم من علم بأن الأشراك وسائر ما أنتم عليه مرضي لله تعالى فتظهروه لنا بالبرهان ؟ وهذا دليل على أن المشركين هم استوجبوا التوبيخ على قولهم ذلك لأنهم كانوا يهزون بالدين ويبنون رد دعوة الانبياء عليهم السلام حيث قرع مسامعهم من شرائع الرسل عليهم السلام تفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى ، فعين طالبهم بالاسلام والتزام الأحكام احتجوا عليهم بما أخذوه من كلامهم مستهزئين بهم عليهم الصلاة والسلام

ولم يكن غرضهم ذكر ما ينطوي عليه عقدهم كيف لا والايمان بصفات الله تعالى فرع الايمان به عز شأنه وهو عنهم مناط العيوق . « ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخرسون » أي تكذبون على الله تعالى « قل فله الحجة البالغة » أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المثانة والقوة على الاثبات والمراد بها في المشهور الكتاب والرسول والبيان « فلو شاء لهداكم أجمعين » بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية البعض الصارفين اختيارهم الى سلوك طريق الحق ، وضلال آخرين صرفوه الى خلاف ذلك . ومن الناس من ذكر وجهاً آخر في توجيه ما في الآية ، وهو ان الرد عليهم إنما كان لا اعتمادهم انهم مسلمون اختيارهم وقدرتهم وان اشراكهم إنما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا انهم يقيمون الحجة على الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بذلك فرد الله تعالى قوتهم في دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل واشرك بالله عز وجل واعتمد على انه إنما يفعل ذلك بمشيئة الله تعالى ورام افحام الرسل بهذه الشبهة . ثم بين سبحانه انهم لا حجة لهم في ذلك وان الحجة البالغة له تعالى لا لهم ثم أوضح سبحانه أن كل واقع واقع بمشيئته ، وانه لم يشأ منهم الا ما صدر عنهم وانه تعالى لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون . والمقصود أن يتمحض وجه الرد عليهم وتخص عقيدة نفوذ السنة وعموم تغلقها .

بكل كائن عن الرد وينصرف الرد الى دعواهم سلب الاختيار
لأنفسهم وان اقامتهم الحجة بذلك خاصة واذا تدبرت الآية
وجدت صدرها دافعاً لصدور الجبرية وعجزها معجزاً للمعتزلة إذ
الأول مثبت أن للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره
في المخالفة والعصيان . والثاني مثبت نفوذ مشيئة الله تعالى في العبد
وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الالهية وبذلك تقوم الحجة البالغة
لأهل السنة على المعتزلة ، والحمد لله رب العالمين . ومنهم من وجه
الآية بأن مرادهم رد دعوة الانبياء عليهم السلام على معنى أن الله
تعالى شاء شركنا وأرادنا منا وأنتم تخالفون ارادته حيث تدعوننا
الى الايمان ، فوبخهم سبحانه وتعالى بوجوه عدّة منها قوله سبحانه
« فله الحجة البالغة » فانه بتقدير الشرط أي اذا كان
الامر كما زعمتم « فله الحجة البالغة » ، وقوله سبحانه « فلو
شاء » بدل منه على سبيل البيان أي لو شاء لدل كلاً منكم ومن
مخالفكم على دينه فلو كان الامر كما تزعمون لكان الاسلام أيضاً
بالمشيئة فيجب أن لا تمنعوا المسلمين من الاسلام كما وجب بزعمكم
أن لا تمنعكم الانبياء عن الشرك فيلزمكم أن لا يكون بينكم وبين
المسلمين مخالفة ومعاداة بل موافقة وموالاته . وحاصله أن ما خالف
مذهبكم من النحل يجب أن يكون عنكم حقاً لانه بمشيئة الله تعالى
فيلزم تصحيح الاديان المتناقضة . وفي سورة النحل « وقال الذين

اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمننا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين » الكلام على هذه الآية كالـكلام على الآية السابقة ولا تراهم يتشبهون بالمشيئة الا عند انخزال الحجة ألا ترى كيف ختم بنحو آخر مجادلاتهم في سورة الانعام في الآية السابقة ، وكذلك في سورة الزخرف وهو قوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستمكتب شهادتهم ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » ويكفي في الانقلاب ما يشير اليه قوله سبحانه « قل فلاة الحجة البالغة » والمراد بما حرموه السوائب والباحائر وغيرها ، وفي تخصيص الاشتراك والتحريم بالنفي لانها أعظم وأشهر ما هم عليه . وغرضهم من ذلك تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن في الرسالة رأسا فان حاصله أي ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، فلو أنه سبحانه وتعالى شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئا ونحال ما أحله ولا نحرّم شيئا مما حرّمنا كما تقول الرسل وينقلونه من جهته تعالى لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وتحليل ما أحله وعدم تحريم شيء من ذلك وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ

شيئاً من ذلك ، بل شاء ما نحن عليه وتحقق ان ما يقوله الرسل عليهم السلام من تلقاء أنفسهم. فرد الله تعالى عليهم بقوله « كذلك فعل الذين من قبلهم » من الأمم أي أشركوا بالله تعالى وحرّموا من دونه ما حرّموا وجادلوا رسالهم بالباطل ليدحضوا به الحق « فهل على الرسل الا البلاغ المبين » أي ليست وظيفتهم الا البلاغ للرسالة الموضح طريق الحق والمظهر أحكام الوحي التي منها تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق بقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وأما الجاؤم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاءوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يتوقف عليها التكليف حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقيقة الرسل عليهم السلام أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك ، فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من الانفعال لا بدّ في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين . والكلام على هذه الآية ونحوها مستوفى في تفسير روح المعاني وغيره . فبحرود القدر والاحتجاج به على الله ومعارضة شرع الله بقدره كل ذلك من ضلالات الجاهلية والمقصود انه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين فمن زلت قدمه عن هذه الجادة كان على ما كان عليه أهل الجاهلية وهي الطريقة

التي ردّ عليها الله سبحانه ورسوله ﷺ

﴿مسبة الدهر﴾

﴿السادسة والثلاثون﴾ : مسبة الدهر . كقولهم في سورة الجاثية « وما يهلكنا الا الدهر » وذلك أن الله تعالى أراد بيان أحكام ضلالهم والختم على سمعهم وقلوبهم وجعل غشاوة على أبصارهم فحكى عنهم ما صدر عنهم بقوله سبحانه وتعالى « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا » التي نحن فيها « نموت ونحْيى » أي نموت طائفة ونحْيى طائفة ولا حشر أصلاً . ومنهم من قال أن كثيراً من عبّاد الأصنام كان يقول بالتناسخ ، وعليه فالمراد بالحياة إعادة الروح لبدن آخر « وما يهلكنا الا الدهر » أي طول الزمان . واستنادهم الاهلاك في الدهر انكسارهم من الموت وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى وكانوا يستندون لحوادث مطلقاً اليه جهلهم انها مقدرة من عند الله تعالى وأشعارهم لذلك ثمومة من شكوى الدهر ^(١) وهؤلاء معترفون

(١) مثل قول قتادة :

كبر العناء ومر العشي

ثبات صغير رفقي كبير

ومن قول الآخر :

رسو عينا من حيث لا نتمني

سبح المقدر ثبات الشمس

وقال آخر :

مؤتمن في غشوة من نبال

بدر الدهر . فإني لا حتى

انكسرت الصلابة على النصال

وكنت يا سبيتي راسه

والسعر في بيت قبيل وحيد كبير

بوجود الله تعالى فهم غير الدهرية فانهم مع اسنادهم الحوادث الى
 الدهر لا يقولون بوجوده « سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً »
 والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير . وقد جاء النهي عن سب
 الدهر أخرجه مسلم « لا يسب أحدكم الدهر ، فان الله هو الدهر » وفي
 رواية لأبي داود والحاكم قال الله عز وجل « يؤذيني ابن آدم يقول :
 يا خيبة الدهر ، فلا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أغلب ليلة
 ونهاره » وروى الحاكم أيضاً يقول الله عز وجل « استقرضت عبيدي
 فلم يقرضني وشتمني عبيدي وهو لا يدري يقول وادهراه وأنا الدهر »
 وروى البيهقي « لا تسبوا الدهر . قال الله عز وجل : انا الأليم
 واللياني أجدها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك » . ومعنى ذلك أن
 الله تعالى هو الآتي بالحوادث فاذا سببتم الدهر على انه فاعل وقع
 السب على الله عز وجل . « وما لهم بذلك من علم » أي ليس لهم
 بما ذكر من قصر الحياة على ما في الدنيا ونسبة الاهلاك الى الدهر
 غير مستند الى عقل أو نقل « ان هم الا يظنون » أي ما هم إلا قوم
 قصارى أمرهم اظن والتقليد من غير أن يكون لهم ما يصح أن
 يتمسك به في الجملة . وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يتعلق
 بالدهريين ، والمقصود أن من يقول باسناد الحوادث الى غير الله
 تعالى كالدهر فذلك ليس له مستند عقلي ولا نقلي ، بل هو محض
 جهل وقائه جاهل في أي عصر كان . ولأهل زماننا حظ وافر من

هذا الاعتقاد الباطل . والله المستعان

﴿ إضافة نعم الله الى غيره ﴾

﴿ السابعة والثلاثون ﴾ : إضافة نعم الله الى غيره . قال الله تعالى في سورة النحل « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » وقد عدد الله تعالى نعمه على عباده في هذه السورة الى أن قال « وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم ممرابيل تقيمكم الحرّ ومراييل تقيمكم بأسكم ، كذلك نمنّ نعمته عليكم لعلّكم تشاركون . فإن تولوا فانما عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » فقلوه « يعرفون نعمة الله » الخ استئناف لبيان أن تولي المشركين وإعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم نعمة الله سبحانه وتعالى أصلا فأنهم يعرفونها أنهم من الله تعالى ثم ينكرونها بأنفسهم حيث لم يردوا بمنعمها بالعبادة فكأنهم لم يعبدوه سبحانه وتعالى أصلا ، وذلك كفران منزل منزلة الانكار . وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد انه قال : انكارهم اياها قوهم : ورثناها من آبائنا . وأخرج هو وغيره أيضا عن عون ابن عبد الله انه قال : انكارهم اياها أن يقول الرجل : لولا فلان أصابني كذا وكذا ، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا . وفي لفظ : انكارها إضافتها الى الاسباب . وبعضهم يقول : انكارهم قوهم هي بشفاعه الحسنات عند الله تعالى . ومنهم من قال : النعمة هنا محمد

صلى الله عليه وسلم أي يعرفون أنه عليه الصلاة والسلام نبي بالمعجزات ثم ينكرون ذلك ويحددونه عناداً « وأكثروا الكافرون » أي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر . والتعبير بالأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله وعدم اهتدائه إليه ، أو لعدم نظره في الأدلة نظراً يؤدي إلى المطلوب ، أو لأنه لم تقم عليه الحجة لكونه لم يصل إلى حد المكلفين لصغره ونحوه ، وإما لأنه يقام مقام الكل قاسماً المعرفة والانكار المتفرع عليها إلى ضمير المشركين على الإطلاق من باب اسناد حال البعض إلى الكل

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى في سورة الواقعة « أفهم هذا الحديث أنتم مدعون . وتعملون رزقكم أنكم تكذبون » أي تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . روى مسلم وغيره عن ابن عباس قال : مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر . قاوا : هذه رحمة وضعها الله . وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية « فلا أقسم بمواقع النجوم » حتى بلغ « وتعملون رزقكم أنكم تكذبون » إلى غير ذلك من الآثار . والمقصود أن اسناد النعم إلى غير مُنعمها الحقيقي كفران لها . وقد ذكرنا مذهب العرب في الانواء في غير هذا الموضع وفصلنا تفصيلاً ، وذكرنا شعرهم الدال على مذهبهم هذا : والله الموفق

﴿ الكفر بآيات الله ﴾

﴿ الثامنة الثلاثون ﴾ : الكفر بآيات الله . والنصوص الدالة على ذلك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في الكهف « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا » بعد قوله سبحانه « هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك » الخ فقوله أولئك كلام مستأنف منه مسوق لتكميل تعريف الأخسرين وتبيين خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين . أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي والحسبان المذكور . الذين كفروا بآيات ربهم » بدلالته سبحانه الداعية إلى التوحيد الشاملة للسمعية والعقلية « ولقاءه » هو كناية عن البعث والخسر وما يتبع ذلك من أمور الآخرة ، أي لم يؤمنوا بذلك على ما هو عليه » فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً » أي فتزدي بهم ونحتقرهم

ومن النصوص ما يدل على أن منهم من كان ينكر بعض الآيات ، ومنهم من كان معرضاً عنهم وهاجراً لها . ولا يخفى عليك

أن من الناس اليوم من هو أدهى وأمر مما كان عليه أهل الجاهلية في هذا الباب

﴿ اختيار كتب الباطل ونبذ آيات الله ﴾

﴿ التاسعة والثلاثون ﴾ : اشترأ كتب الباطل واختارها عليها ، أي على الآيات . قال تعالى « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون » ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تنلو الشياطين على ملأك سامعان - إلى قوله - ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا أن اشتراءه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » ومعنى قوله « ولقد علموا لمن اشتراء » أي استبدل ما تنلو الشياطين بكتاب الله « ماله في الآخرة من خلاق » أي نصيب « ولبئس ما شروا به أنفسهم » أي والله لبئس شيئاً شروا به حظوظ أنفسهم أي باعوها أو شروها في زعمهم ذلك الشراء ولو أنهم آمنوا أي بالرسول أو بما أنزل إليه من الآيات أو بالتوراة « واتقوا » أي المعاصي التي حكيت عنهم « لمثوبة من عند الله خير لو كانوا

يعلمون « أي أن ثواب الله تعالى خير لهم. وبمعنى هذه الآية قوله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم الايظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله يشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون « وهذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين خافوا أن تذهب رياستهم باتباع صفة النبي ﷺ على حالها فغيروها

﴿المدح في حكمة الله تعالى﴾

﴿الأربعون﴾ : المدح في حكمته تعالى . أقول : من خصال الجاهلية المدح في حكمته تعالى وأنه ليس بحكيم في خلقه بمعنى أنه سبحانه يخلق ما لا حكمة له فيه ، ويأمر وينهى بما لا حكمة فيه ، وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله في سورة ص « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من عذاب النار » وقال سبحانه في سورة المؤمنين « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق » وفي سورة الدخان « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » وفي سورة الأنبياء « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين » وفي

سورة الحجر « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق
وان الساعة لا آتية فاصفح الصفح الجليل » الى غير ذلك من الآيات
الناصة على أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير حكمة ولا علة على
خلاف ما يعتقدوه أهل الباطل من الجاهليين ومن نحنأهم من هذه
الامة ممن نفى الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى ، وهذه مسألة طويلة
الذيل قد كثر فيها الخصام بين فرق المسلمين ، والحق ما كان عليه
السلف من اثبات الحكمة والتعليل . وقد أطنب الكلام عليها
الحافظ ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل ، وعقد باباً مفصلاً في طرق اثبات حكمة الرب
تعالى في خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة
التي فعل وأمر لأجلها . ومن جملة ما قل في هذا الباب : انه سبحانه
وتعالى أنكر على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا حكمة كقوله
« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » وقوله « أيعسب الانسان أن يترك
سدى » وقوله « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما إلا بالحق » والحق هو الحكم والغايات المحمودة التي
لأجلها خلق ذلك كله ، وهو أنواع كثيرة : منها أن يعرف الله
باسمائه وصفاته وأفعاله وآياته . ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر
ويطاع . ومنها أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع . ومنها أن يدبر
الأمر ويهرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات .

ومنها أن يثيب ويعاقب فيجازي الحسن باحسانه والمسيء باساءته
 فيكون أثر عدله وفضله موجوداً مشاهداً فيحمد على ذلك ويشكر .
 ومنها أن يعلم خلقه انه لا إله غيره ولا رب سواه . ومنها أن يصدق
 الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيهينه . ومنها ظهور آثار أسمائه
 وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي فيعلم
 عباده ذلك علماً مطابقاً لما في الواقع . ومنها شهادة مخلوقاته كلها بأنه
 وحده ربها وخالقها ومليكمها وأنه وحده الله ومعبودها . ومنها
 ظهور أثر كماله المقدس فان الخلق والصنع لازم كماله فانه حي قدير
 ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً . ومنها أن يظهر أثر حكمته
 في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به ومجيئه على
 على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة .
 ومنها انه سبحانه يحب أن يمجود وينعم ويعفو ويسامح ولا يد
 من لوازم ذلك خالقاً وشرعاً . ومنها انه يحب أن يثنى عليه ويمدح
 ويمجد ويسبح ويعظم . ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته
 وآلهيته . الى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق . فخلق مخلوقاته
 بسبب الحق ولأجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو في نفسه حق
 فصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أثنى على عباده
 المؤمنين حيث نزهوه عن ايجاد الخلق لا شيء . ولا لغاية فقال
 تعالى « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار

لآياتٍ لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » وأخبر أن هذا ظن أعدائه لا ظن أو لياته فقال « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا » . وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول انه لم يخلق لحكمة . مطلوبه له ولا أمر لحكمة ولا نهى لحكمة وانما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا لغاية مقصودة وهل هذا الانكار لحقيقة حمده بل الخلق والأمر انما قام بالحكم والغايات فهما مظهران لحمده وحكمته فانكار الحكمة انكار حقيقة خلقه وأمره فان الذي أثبتته المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبته اليه فانهم أثبتوا خلقاً وأمرأ لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة ، بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة له لكلف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه وينهى عن جميع ما أمر به ولا فرق بين هذا وهذا الا بمجرد الامر والنهي . ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه ضربة عين ويشيب من عصاه بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور فلا سبيل الى أن يعرف خلاف ذلك منه

الا يخبر الرسول والا فهو جائز عليه . وهذا من أقبح الظن وأسوئه
بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور بل هذا هو
عين الظلم الذي يتعالى الله عنه . والعجب العجيب ان كثيراً من
أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات
الكمال ونعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تجسيم وتشبيه ، ولا
ينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون أنه عدل وحق ، وأن
التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الا بانكار استوائه على
عرشه وعلوه فوق سماواته وتكلمه وتكليمه وصفات كماله فلا
يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا النفي وذلك الاثبات والله
وفي تنويرك . انتهى المتصود من نقله وتمام الكلام في هذا
الباب من ذلك الكتاب واليه سبحانه المرجع

﴿ الكفر بالملائكة والرسول والتفريق بينهم ﴾

(الحادية والأربعون) : الكفر بالملائكة والرسول والتفريق
بينهم . قل تعالى لا يؤمنون بآياتنا موسى الكتاب وقيننا من بعده
بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما

يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بثما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده غياً فأبغض على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين - إلى أن قل - قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو الكافرين ولقد أنزلنا إليكم آيات بيّنات وما يكفر بها إلا الفاسقون » فقد تبين من هذه الآيات أن بعض المكتبيين كانوا يكفرون بالملائكة والرسل ويفرقون بينهم أي يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وهم طائفة من جاهلية اليهود ولهذا أمرنا الله تعالى بالإيمان بهم وعدم التفرقة بينهم فقال « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقلوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير

﴿ الغلو في الانبياء والرسول ﴾

(الثانية والأربعون) : الغلو في الانبياء والرسول عليهم السلام . قال تعالى في سورة النساء « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكتبته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله واحد سبحانه أنى يكون له ولد » والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الاصنام والصالحين كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسواع ويغوث ونحوهم وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ومثل ذلك القول على الله بغير الحق

﴿ الجدال بغير علم ﴾

(الثالثة والأربعون) : الجدال بغير العلم كما ترى كثيراً من أهل الجدل يجادلون أهل العلم عند نهيبهم عما ألفوه من البدع والضلالات . وهي صفة جاهلية نهانا الله تعالى عن التخلق بها قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تحتاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحتاجون فيما ليس لكم به علم والله

يعلم وأنتم لا تعلمون» أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الاحبار : ما كان ابراهيم الا يهودياً وقلت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانياً فانزل الله فيهم هذه الآية المتبادية على جباههم وعنادهم كما لا يخفى على من راجع التفسير

﴿الكلام في الدين بلا علم﴾

قال الشيخ (الرابعة ولاربعون) : الكلام في الدين بلا علم . أقول أجل الشيخ رحمه الله تعالى الكلام في هذه المسألة كل الاجمال كما فعل مثل ذلك في كثير من المسائل وما أحقهم بالتفصيل وذلك أن أهل الجاهلية من العرب وغيرهم من الكتابيين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله أما العرب فقد كان الكثير منهم على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام إلى أن ظهر فيهم الخزاعي^(١) فغير وبدل وابتدع بدعاً كثيرة وأغرى العرب على عبادة الأصنام وبحر البحيرة وحى الحام واستقسم بالأزلام الى غير ذلك مما فضّلنا في غير هذا الموضع وان شئت أن تعرف جيل العرب

(١) هو عمرو بن لحي وكان الحجازيون يتخذونه رباً في أمثال امره وطاعته والانتساب
عما ينهى عنه

وما ابتدعوه فاقراً سورة الانعام فان فيها كثيراً من ضلالتهم
ومبتدعاتهم . وأما الجاهليون من اليهود والنصارى فقد اتخذوا
أخبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وذلك ان
احبارهم ورهبانهم ابتدعوا لهم في الدين بدعاً وحلّوا وحرّموا ما
اشتهته أنفسهم فقبلوا ذلك منهم وأطاعوهم عليه مع أن الدين إنما
يكون بتشريع الله ووحيه الى أنبيائه ورساله عليهم السلام ولا
يكون بأراء الرجال وبحسب أهوائهم فكل ما لا دليل عليه من
كتاب ولا سنة مردود على صاحبه . وقد ذم الله تعالى اليهود على
مثل ذلك فقال عز اسمه في سورة آل عمران « وان منهم لفريقاً
يأفكون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون » فمن أول نصوص الكتاب
والسنة على حسب شهواته وبمقتضى هواه فهو أيضاً من قبيل
الذين يأفكون السنتهم بالكتاب وأنت تعلم ما اشتمل عليه اليوم
كثير من كتب الشريعة من الآراء التي ليس لها مستند من
دلائل الشريعة . فإلى الله المشتكى من صولة الباطل وخمول الحق

﴿ الكفر باليوم الآخر ﴾

﴿ الخامسة والأربعون ﴾ : الكفر باليوم الآخر والتكذيب بلقاء الله وبعث الأرواح وبيع بعض ما ذكرته الرسل من صفات الجنة والنار قال تعالى في سورة الكهف « قل هل أنبئكم بالآخسرين أعمالا الذين خلل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه » الآية . وقد مر الكلام عليها قريبا . وقال تعالى في سورة النحل « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يمتوت بلى وعدا عليه حقا ولكن كثر الناس لا يعلمون لنبيين لهم ظني يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » إلى غير ذلك من النصوص الواردة في ذلك كله . ولتقوم عصمنا من هذا الاعتقاد الجاهلي حظا وافر ونصيب كامل ومن يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون . نسأله تعالى التوفيق للهداية

﴿ التكذيب بآية مالك يوم الدين ﴾

﴿ السادسة والأربعون ﴾ : التكذيب بقوله تعالى « مالك يوم الدين » وهو اليوم الذي يدين الله تعالى العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات ويعاقبهم على المعاصي والسيئات والتكذيب

بهذا اليوم متفرع على انكار البعث والحساب والجنة والنار

﴿التكذيب بآية لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاة﴾

﴿السابعة والأربعون﴾ : التكذيب بقوله تعالى « لا يبيع فيه

ولا خلة ولا شفاعاة » من قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا انفقوا

مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاة

والكافرون هم الظالمون » . والخلة المودة والصداقة ومعنى ولا

شفاعة أي لا أحد يشفع لأحد إلا من بعد ان يأذن الرحمن لمن

يشاء ويرضى وأراد بذلك يوم القيامة والمراد من وصفه بما ذكر

الإشارة الى أنه لا قدرة لأحد فيه على تحصيل ما ينتفع به بوجه

من افجود لأن من في ذمته حق مثلاً إما ان يأخذ بالبيع ما يؤديه

به وإما ان يعينه أصدقائه وإما ان يلتجئ الى من يشفع له في

حظه والكل منتف . ولا مستعان إلا بالله عز وجل

﴿الخطأ في فهم معنى الشفاعاة﴾

﴿الثامنة والأربعون﴾ : التكذيب بقوله تعالى في سورة

الزخرف « ولا يملك الذين تدعون من دونه الشفاعاة إلا من شهد

بالحق وهم يعلمون » . قوله ولا يملك الذين تدعون أي ولا يملك

آلهمهم الذين يدعونهم من درنه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله عز وجل إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون أي يعلمونه والمراد بهم الملائكة وعيسى وعزير واضرابهم وأنت ترى الناس اليوم عما كفّين على أصدانهم يدعونهم من دون الله وعذرهم عند توبيخهم أن هؤلاء شفعاؤهم . تعالى الله عما يشركون

﴿ قتل أولياء الله ﴾

﴿ التاسعة رابعة ﴾ : قتل أولياء الله وقتل اثنين يأمرون بالنفس من الناس قل تعالى في سورة البقرة « وضربت عليهم ببنة والفسنة وبأقوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وقل في سورة آل عمران « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » إلى آيات أخر في هذا المعنى صرحت بما لا فاد لأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم المخلصون ودعاة الحق ^(١) وبما كابدوه من أعداء الله والجهلة

(١) من ذلك أن الشيخ المصنف لاقى من أبناء زمانه كبيرهم وصغيرهم لما دعاهم إلى الله تعالى والتوحيد الذي جاءت به الرسل ما تهد له الصياص وتثيب له النواصي كما لا يخفى على من طالع سيرته الفدسة تفعمده الله برحمته . ورضوانه

الغفاة مما تنهد له الصياصي وتبيض منه النواصي
هؤلاء أ كابر الأمة الحمديّة وعلماءؤها الأعلام قد صادفوا
عند دعوتهم الى الحق والمحافظة عليه ما يسود منه وجه القرطاس
وتشيب منه لمم المداد والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم
المؤمنون وإن كانوا يبتلون في أول الأمر فلعاقبة لهم كما قال تعالى
لما قص قصة نوح « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين »
وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم رسولا الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان
المشركون حينئذ أشداء لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب
بينكم وبينهم قالوا : الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة
وندال عليه الأخرى فقال كذلك الرسل تبلى وتكون لها العاقبة
فإنه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنون ثم
لم ينصر الكفار بعد ذلك حتى أظهر الله تعالى الاسلام . فان قيل
ففي الأنبياء من قد قتل كما أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أن
بني اسرائيل يقتلون النبيين بغير الحق وفي أهل الفجور من
يؤتيه الله ملكا وسلطانا ويسلطه على المتدينين كما سلط بخت نصر

على بني اسرائيل وكما سلط كفار المشركين وأهل الكتاب
أحياناً على المسلمين . قيل أما من قتل من الأنبياء فهم مكن يقتل
من المؤمنين في الجهاد شهيداً قال تعالى « وكأين من نبي قتل معه
رِيتون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا ان قلوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين فأثابهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين » ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيداً في
القتال كان حاله أكل من حال من يموت حتف أنفه قال تعالى
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند
ربهم يرزقون » ولهذا قال تعالى « قل هل تربصون بنا إلا إحدى
الحسين » أي إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة ثم ان الدين
الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة
في الدنيا والآخرة من قتل منهم كان شهيداً ومن عاش منهم كان
منصوراً سعيداً وهذا غاية ما يكون من النصر اذ كان الموت لا بد
منه فالموت على الوجه الذي يحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكل
بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا
في الدنيا ولا في الآخرة والشهداء من المؤمنين قتلوا باختيارهم

وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت إما أنهم قصدوا الشهادة وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وبقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء ، بخلاف من هلك من الكفار فانهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكا لا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المتبوحين وقيل فيهم «كم تركوا من جنات وعيون وزرع ومقام كريم وانعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قومًا آخرين فما بك عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين» وقد أخبر سبحانه أن كثيرًا من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أي ألوف كثيرة وأنهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وأن الله تعالى آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . فإذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح . وظهور الكفار على المؤمنين أحيانًا هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فإن تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع

الكفار وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها فإن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قاموا بعهوده ووصايا نصرهم الله وأظهرهم على المخالفين له فإذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوداً وعدمًا من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار علة لدائر وقولنا من غير وصف آخر يزيل النقوض الواردة فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله وأخباره هو بسبب اتباع النبي وأنه سبحانه يريد إعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه على من خالفه وإن يجعل لهم السعادة ومن خالفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وأن من اتبعه كان سعيداً ومن خالفه كان شقيماً . ومن هذا ظهور بخت نصر على بني اسرائيل فإنه من دلائل نبوة موسى إذ كان ظهور بخت نصر إنما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا إذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرها قل تعالى « وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فلما جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم

أكثر نفيراً ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأوا ما علو تبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا» فكان ظهور بني إسرائيل على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وآياته . وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأعلام نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته مع خلفائه من أعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين يقتصرون على أهل الكتاب أحياناً فان أولئك لا يقولون^(١) مطاعهم الى نبي ولا يقتلون أتباع الانبياء على دين ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم على دينهم بل قد يصرحون باننا انما نصرنا عايكم بذنوبكم وان لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وأيضاً فلا عاقبة لهم بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعاً ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد موت ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت . فهذا وأمثاله مما يظهر الفرق بين انتصار الانبياء وأتباعهم

(١) لله لا يكون

وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أو ظهور بعضهم على بعض وبين أن ظهور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمه على أهل الكتاب اليهود والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الأوثان وذلك من اعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بني اسرائيل وظهور الكفار على المسلمين . وهذه الآية مما أخبر به موسى وبين أن الكذاب المدعى للنبوة لا يتم أمره وإنما يتم أمر الصادق فإن من أهل الكتاب من يقول محمد وأمه سلطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك وهذا قياس فاسد فإن بخت نصر لم يدع نبوة ولا قاتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل أن ينتقلوا عن شريعة موسى إلى شريعته فلم يكن في ظهوره اتحام لما ادعاه من النبوة ودعا إليه من الدين بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق إذا ظهروا على القوافل بخلاف من ادعى نبوة ودينًا دعا إليه ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة وتوعد مخالفيه بشتاوة الدنيا والآخرة ثم نصرده الله وأظهره وأتم دينه وأعلى كلمته وجعل له العاقبة وأذل مخالفيه فإن هذا من جنس خرق العادات المقترة بدعوى النبوة فإنه دليل عليها وذلك من جنس خرق العادات المقترة بدعوى النبوة فإنه ليس دليلاً عليها

وقد يغرق في البحر أمم كثيرة فلا يكون ذلك دليلاً على نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه فإنه كان آية بينة لموسى وهذا موافق لما أخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من أن الكذاب لا يتم أمره وذلك بأن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يبين كذبه . ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الألوهية بعض الخوارق كان معها ما يدل على كذبه من وجوه . منها دعواه الألوهية وهو أعور والله ليس بأعور مكتوب بين عينيهِ كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت . وقد ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة فإن تأييد الكذاب ونصره وظهر دعوته دائماً فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك أيضاً بالحكمة فحكيمه تناقض أن يفعل ذلك إذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » فأخبر أن سنة الله التي لا تبدل لها نصر المؤمنين على الكافرين والإيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله . فإذا نقص الإيمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه

كما جرى يوم أحد . وقال تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءكم نذير ليكونن أحدى من أحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين ولا يوجد لسنة الله تبديل لا تبديل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قل في المناقطين وهم الكفار في الباطن دون الظاهر من فيه شعبة نفاق « لئن لم ينته المؤمنون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » والسنة هي العادة فهذه عادة الله المعلومة فإذا نصر من ادعى النبوة واتبعه على من خالفه إما ظاهراً وإما باطناً نصراً مستقراً فإن ذلك دليل على أنه نبي صادق إذا كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمناقطين كما أن سنته تأييدهم بآيات البينات وهذه منها ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكثر الكفار وأظلم الظالمين قل تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباتاً أو قل

أوحى اليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال ما أنزل مثل ما أنزل الله «
وقال تعالى « فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ
جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب
بالحق لما جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » ومن كان
كذلك كان الله يمتته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي
هريرة قال ان الله يملئ لأظالم فإذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ « وكذلك
أخذ ربك اذا أخذ الفري وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » وقال
أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله
ﷺ من آمن كذب الخيانة من الزرع تفيها الرياح تقيمها تارة
وتحيلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على
أصلها حتى يكون النجفاف مرة واحدة . فالكاذب الناجر وان
عظمت دولته فلا بد من زواله بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء
فيه في العلم وهو يظهر سريعا وينزل سريعا كدولة الأسود
العنسي ومسيمة الكذاب والحارث السعدي وبابا الرومي ونحوهم .
وأما الأنبياء فانهم يمتحن كثيرا ثم حصوا بالبلاء فان الله تعالى
انما يمكن العبد من البلاء ويظهر أمره شيئا فشيئا كالزراع قال

تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سياناً في وجوههم من أثر السجود ذلك منهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه (أي فراخه) فأزده (أي قواء) فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ». ولهذا كان أول من اتبعهم ضعفاء الناس باعتبار هذه الأمور وسنة الله في أنبياءه الله وأوليائه الصادقين وفي أعداءه الله والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبئ الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لسكنات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » وقل تعالى « أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب » وقل تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير

للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون « والمتصود أن ايذاء القائمين بالحق والناصرين له من سنن أهل الجاهلية، وكثير من أهل عصرنا على ذلك والله المستعان

﴿الايمان بالجبت والطاغوت﴾

(الخصون) : الايمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المسلمين قد تعانى في سورة النساء « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » هذه الآية نزلت في حبي بن أخطاب وكعب بن الأشرف في جمع من يهود وذاك أنهم خرجوا الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مشواره ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة أنتم

أهل كتاب ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب كتاب فلا
يؤمن هذا ان يكون مكرراً منكم فان أردت ان نخرج معك فاسجد
لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قال كعب يا أهل مكة ليحيى
منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فتلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب
البيت لنجهدين على قتال محمد فنعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو
سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم
فاينما أهدى طريقاً وأقرب الى الحق ، نحن أم محمد ؟ قال كعب
اعرضوا على دينكم فقال أبو سفيان نحن فنحز للحجيج الكوماء
ونستقيم البين ونقري الضيف ونمك العاني ونصل الرحم ونعمر
بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه
وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد الحديث . فقال كعب أنتم
والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد فأنزل الله في ذلك الآية واجلبت
في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله والطاغوت
يطلق على كل باطل من معبود أو غيره . ومعنى الايمان بهما إما
التصديق بأنهما آلهة وإشراكهما بالعبادة مع الله تعالى . وإما
طاعتهما وموافقتهما على ما هما عليه من الباطل . وأما التبرر المشترك
بين المعنيين كالتعظيم مثلاً والتباعد المعنى الاول أي انهم يصدقون
بالوحيه هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الآله الحق .

ويسجدون لها .

﴿ لبس الحق بالباطل ﴾

﴿ الحادية والخسون ﴾ : لبس الحق بالباطل وكتمانه قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » . وفي المراد أقوال : أحدها ان المراد تحريفهم التوراة والانجيل . ثانيها ان المراد اظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق . ثالثها ان المراد الايمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد عليهم السلام . رابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من حقيقة رسالته ﷺ وما يظهرونه من تكذيبه

﴿ الاقرار بالحق للتوصل الى دفعه ﴾

﴿ الثانية والخسون ﴾ : التعصب للمذهب والاقرار بالحق للتوصل الى دفعه . قال تعالى في سورة آل عمران « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ووجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا بمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يفتي أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » قال الحسن
والسعدى : تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر وقرى
عربى وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان
دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان
دينه فاذا فعلم ذلك شك أصحابه في دينهم وقالوا انهم أهل كتاب
وهم أعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم

﴿اتخاذ النبيين أرباباً﴾

﴿الثالثة والخمسون﴾ : تسميتهم اتباع الاسلام شركاء قال
تعالى « ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم
يقول يا الناس كونوا عباداً لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين
بما كنتم تعلمون الكتاب وبعد كنتم تدرسون ، ولا تأمركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون » أخرج ابن اسحاق بسند حسن اجتمعت الاحبار من
اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد
النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني

يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : معاذ الله ان يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني . فأنزل الله تعالى الآية

﴿ تحريف الكلام عن مواضعه ﴾

﴿ الرابعة والخمسون ﴾ : تحريف الكلام عن مواضعه ولي الألسنة بالكتاب . قل تعالى في سورة آل عمران « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » روى أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وأخفوا بكتب الله تعالى ما ليس منه . واختلف الناس في أن اخرف هل كان يكتب في التوراة أم لا ؟ فذهب جمع إلى أنه ليس في التوراة سوى كلام الله تعالى وإن تحريف اليهود لم يكن إلا تغييراً وقت القراءة وتؤيلاً باطلاً للنصوص . وأما أنهم يكتبون ما يرومون في التوراة على تعدد نسخها فلا . واحتجوا لذلك بما روى أن التوراة والإنجيل كما أنزلها الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضاهون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند

أنفسهم ويقولون ان ذلك من عند الله وما هو من عند الله . فأما كتب الله تعالى فانها محفوظة لا تحول وبأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لليهود الزاماً لهم أتوا بالتوراة فأتوها ان كنتم صادقين وهم يمتنعون عن ذلك فلو كانت مغيرة الى ما يوافق مرادهم ما امتنعوا بل وما كان يقول لهم ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يعود على مطلبه الشريف بالابطال . وذهب آخرون الى أنهم بدلوا وكتبوا ذلك في نفس كتابهم واحتجوا على ذلك بكثير من الظواهر ولا يمنع من ذلك تعدد النسخ لاحتمال التواطؤ أو فعل ذلك في البعض دون البعض وكذا لا يمنع منه قول الرسول لهم ذلك لاحتمال عامة ببقاء بعض ما بقي بفرضه سالماً عن التغيير . إما جهلهم بوجه دلالة أو لصرف الله تعالى إليهم عن تغييره وتتم الكلام في تفسير الجدل عند الكلام على هذه الآية وكذا في الجواب الصحيح للشيخ الاسلام . وكثير من الأمة الحمدية سلكوا مسلك الكتابيين في التحريف والتأويل واتباع شيوخهم وقل تعالى في سورة النساء « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لئلا بالسفتهم وطعناً في الدين ونو أنهم قلوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظروا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله

بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا» والكلام على هذه الآية أيضاً
مستوفى في التفسير

﴿تلقب أهل الهدى بألقاب غريبة﴾

(الخامسة والخمسون) : تلقب أهل الهدى بالصابئة والحشوية
فقد كان أهل الجاهلية يلتبسون من خرج عن دينهم بالصابيء كما
كانوا يسمون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك كما ورد
في عدة أحاديث من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما تنفيراً للناس
عن اتباع غير سبيلهم وهكذا تجد كثيراً من هذه الأمة يطلقون
على من خلفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس . والصابئة
أمة قديمة على مذاهب مختلفة قد تكلم عليها أهل المقالات بما
لا مزيد عليه . وأما الحشوية فهم قوم كانوا يقولون بجواز ورود
مالا معنى له في الكتاب والسنة كالخروف في أوائل السور
كانوا قول بعضهم وهم الذين قل فيهم الحسن البصري لما وجد
قومهم سائط وكانوا يجلسون في حلقته أمامه ردوا هؤلاء إلى
حشا الخلقة أي جانبها . وخصوم السلفيين يرمونهم بهذا الاسم
تنفيراً للناس عن اتباعهم ولأخذ بأقوالهم حيث يقولون في
التشابه لا يعلم تأويله إلا الله وقد أخطأت ألسنتهم الحفرة فالسلاف

لا يقولون بورد ما لا معنى له لافي الكتاب ولا في السنة بل يقولون في الاستواء مثلاً: الاستواء غير محمول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر وقد أطل الكلام في هذه المسئلة شيخ الاسلام ابن تيمية في كثير من كتبه ونخلص ذلك في كتابه جواب أهل الايمان في التفاضل بين آيات القرآن . ومن الناس من فرق بين مذهب السلف ومذهب الخشوية، أن مذهب الخشوية وورد ما يتعذر التوصل الى معناه المراد مطلقاً فالاستواء مثلاً عندهم له معنى يتوصل اليه بمجرد سماعه كل من يعرف الموضوعات اللغوية إلا أنه غير مراد لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل ومعنى آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عز وجل وكيف يكون مذهب السلف هو مذهب الخشوية وقد رأى الحسن البصري الذي هو من أكابر السلف سقوط قول الخشوية ولم يرض ان يقعد قائله نجاهه . والمتصود أن أهل الباطل من المبتدعة رموا أهل السنة والحديث بمثل هذا القبح الخبيث . قال أبو محمد عبد الله بن قتيبة في تأويل مختلف الأحاديث ان أصحاب البدع سموا أهل الحديث بالخشوية والناطقة والمتجبرة والجبرية وسموهم الغشاء وهذه كلها انباز لم يأت بها خبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أتى في التسمية أنهم مجوس هذه الامة فإن مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا

فلا تشهدوا جنازتهم . وفي الرافضة يكون قوم في آخر الزمان
يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ويلفظونه فاقتلوههم فانهم
مشركون . وفي المرجئة صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي لعنوا على
لسان سبعين نبياً المرجئة والتدرية . وفي الخوارج يمزقون من
الدين كما يمزق السهم من الرمية وكلاب أهل النار . هذه أسماء
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك أسماء مصنوعة
انتهى . وفي الغنية أن الباطنية تسمى أهل الحديث خشوية لقولهم
بالأخبار وتعلقهم بالآثار انتهى . وفي كتاب حجة الله البالغة
واستطال هؤلاء الخائضون على عشر أهل الحديث وسموهم بحسمة
ومشبهة وقلوا هم المتسترون بالبلكفة (١) وقد وضع لدي وضوحاً
يقيناً أن استتارهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في روايتهم
رواية ودراية وخصمون في طعنهم أئمة الهدى انتهى . وقد قال
العلامة ابن القيم في كافيته الشافية : فصل في تلقيبهم أهل السنة
بالخشوية ويقال من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من
الطائفتين وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدع :

ومن العجائب قولهم من اقتدى	بالوحي من أثر ومن قرآن
خشوية يعنون خشواً في الوجود	وفضلة في أمة الانسان
ويظن جهلهم بأنهم خشوا	رب العباد بداخل الاكوان

إذ قولهم فوق العباد وفي السما
 ظن الحير بأن «في» للظرف والا
 والله لم يسمع بهذا من فرقة
 لا تبتهوا أهل الحديث به فإ
 بل قولهم إن السموات العلى
 حقاً كخردلة ترى في كف م
 أترونها المحصور بعد أم السما
 كم ذا مشبهة وذا خشوية
 تدرون من سمعت شيخكم بهذا الاسم في السخى من لأزمان
 حتى به عمرو لعبد الله ذا
 فورثم عمرو كما ورثوا لعبد
 تدرون من أولى بهذا الاسم
 من قد حشى الأوراق والأذهان من
 هذا هو الخشوى لأهل الحديث
 وردوا عذاب من هذه السنن التي
 ووردتم التقوط بحرى كل ذي ال
 وكسهم ن تصعدوا للورد من
 وحصل هذه الآبيات أن أعداء الحق وخصوم السنة وأضداد

• الرب ذو الملكوت والسلطان
 رحمن محوي بظرف مكان
 قالته في زمن من الأزمان
 ذا قولهم تباً لذي البهتان
 في كف خالق هذه الأكوان
 سكها تعالى الله ذو السلطان
 ياقومنا ارتدعوا عن العدوان
 صرف بلا جحد ولا كتمان
 الاسم في السخى من لأزمان
 ك ابن خزيمة حذر الشيطان
 الله أنى يستوى الأوثان
 وهو مناسب أحواله بوزان
 بدع تخالف مقتضى القرآن
 أئمة الاسلام والامان
 ليست ربلة هذه الأذهان
 أوساخ والأقذار والأنتان
 أثر الشرايع خيبة الكسلان
 أعداء الحق وخصوم السنة وأضداد

الكتاب والسنة يلقبون سلف الامة المتمسكين بالكتاب والسنة بلقب الحشوية، فالخواص منهم يقصدون بهذا الاسم أن المسمى به حشو في الوجود وفضلة في الناس لا يعاب بهم ولا يقام لهم وزن إذ لم يتبعوا آراءهم الكاسدة وأفكارهم الفاسدة وأما العوام منهم فيظنون أن تسمية السلف بالحشوية لقولهم بالفوقية وكون الاله في السماء بمعنى أنهم اعتقدوا وحاشاهم ان الله تعالى حشو هذا الوجود وأنه داخل الكون تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهذا بهتان عظيم على أهل الحديث على أن هذا القول لم يقبل به أحد . وأعداء الحق في عصره هذا على هذا المسلك الجاهلي فتراهم يرمون كل من تمسك بالكتاب والسنة بكل لقب مذموم بين المسلمين واث المستعان على ما تصفون

﴿ التّكذيب بالحق ﴾

﴿ السادسة والخمسون ﴾ : افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق . وشواهد هذه المسئلة من الكتاب والسنة كثير وهذا دأب المخالفين للدين المبين كاليهود والنصارى ، يدّعون أن ما هم عليه هو الحق وأن الله أمرهم بالتكذيب به وأن الدين المبين ليس بحق وأن الله تعالى أمرنا بتكذيبه كل ذلك لا تتبع أسلافهم لا ينظرون الى التليل وهكذا أهل البدع والضلالات يعتقدون بدعهم الحق

وَأَنَّ اللَّهَ أَمْرُهُمْ وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ مَقْتَرَى لَا يُصَدِّقُونَ بِهِ
وَكُلٌّ يَدْعِي وَصْلًا لِلَّيْلِ وَلَيْلَى لَا تَقْرَأُ لَهُمْ بِذَاكَ

﴿الافتراء على المؤمنين﴾

﴿السابعة والخمسون﴾ : روى المؤمنين يطلب العلو في الارض
قال تعالى في سورة يونس « قُلُوا أَجِئْنَا لِنَفْتِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ »
هذا الكلام مسوق لبيان أن موسى عليه السلام ألتهم بحجر
فانقطعوا عن الاتيان بكلامه له تعلق بكلامه عليه السلام فحصل
عن اجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي
هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معالج لجوج ، على أنه
استئنف وقع جواباً عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة
قل موسى ، كأنه قيل فماذا قلوا لموسى عليه السلام حين قل لهم
ما قل ؟ فتيل قلوا عاجزين عن الحاجة « أَجِئْنَا لِنَفْتِنَا عَمَّا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ » أي تلك كما روى
عن بعضهم وعن الزوجج أنه إنما حتى تلك كبرياء لأنه أكبر
من يطلب من أمر الدنيا ، فكأن من دعا إلى الحق زمام من كان على
مستوى الجاهلي أن قصده من الدعوة طلب الرياسة واجداد من غير

ان ينظروا الى ما دعا اليه وما قام عليه من البراهين
﴿ رمى المؤمنين بالفساد في الارض ﴾

﴿ الثامنة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بالفساد في الارض . شاهد
هذه المسألة آيات كثيرة ، حاصلها أن المخالفين لهم من المؤمنين
مفسدون في الارض . انظر الى قولهم في أوائل سورة البقرة
كيف ادعوا أنهم هم مصلحون . وقد ردت الله عليهم بقوله « ألا
أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » وهكذا من هو على
شاكلة أولئك من الذين استحلوا غيهم وتمكنت بدعهم
من قلوبهم :

ومن يك ذا فمٍ مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا
نساءً تعالى ان يثبت قلوبنا على دينه القويم وأقدامنا على
الصراط المستقيم

﴿ رمى المؤمنين بتبديل الدين ﴾

﴿ التاسعة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بتبديل الدين . قال
تعالى في سورة مؤمن « أي أخاف أن يبدل دينكم وان يظهر في
الارض الفساد » اعتقدوا ما هم عليه من الضلال هو الدين الحق
ومن أراد تحويلهم عن اعتقادهم الكاسد وصرفهم عما هم عليه

من الغي | فقد اراد | اخراجهم من الدين وافساداً في الأرض .
وهكذا ديدن أعداء الحق في كل عصر .

﴿ اتهم أهل الحق بالفساد في الارض ﴾

﴿ الستون ﴾ : كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا الى السيف
والشكوى الى الملوك و | دعوى | احتقار السلطان و [تحويل]
الرعية عن دينه . قال تعالى في سورة الاعراف « أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الأرض » فانظر الى شكوى آل فرعون وقومه اليه
وتحريضهم إياه على مقاتلة موسى عليه السلام وتهيجته . وما ذكر
في آخر الآية من احتقار ما كانوا عليه

﴿ تناقض مذهبهم لما تركوا الحق ﴾

﴿ الحادية والستون ﴾ : تناقض مذهبهم لما تركوا الحق قال
تعالى في سورة ق « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا
كتاب حفيظ بل كذبوا باحق لما جاءهم فهم في أمر مريج » فقوله
بل كذبوا باحق الخ اضرب اتبع الاضراب الأول للدلالة على
أنهم جاءوا بما هو أقسط من تعصبهم وهو التكذيب باحق الذي
هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وعلة من غير تفكير ولا تدبر
فهم في أمر مريج مضطرب وذلك بسبب نفهم النبوة عن البشر

بالكلية تارة وزعمهم أن اللائق بها أهل الجاد والمال كما ينبيء عنهم قولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» تارة أخرى ، وزعمهم أن النبوة سحر أول مرة وأنها كهانة أخرى حيث قالوا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة ساحر ومرة كاهن ، أو هو اختلاف حالهم ما بين تعجب من البعث واستبعاد له وتكذيب وتردد فيه أو قولهم في القرآن هو شعر تارة وهو سحر أخرى وقال تعالى في سورة النازيات «والسماء ذات الحبات أنكم لنفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون» الحبك جمع حبيكة كطريقة أو حبال كمثل ومثل والمراد بها إما الطرق الخمسة التي تسير فيها الكواكب أو المعتقدات التي تصدرت بالبصيرة وهي ما يدل على وحدة الصانع وقدرته وعلمه وحكمته إذا تأملها الناظر وقوله «أنكم لنفي قول مختلف» أي متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون أنه جل شأنه خلق السموات والأرض وتقولون بصحة عبادة الأصنام معه سبحانه وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتقولون تارة أنه يحنون وأخرى أنه ساحر ولا يكون الساحر إلا «قلًا وفي أمر الحشر فتقولون تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلاً وتزعمون أخرى أن أئمتناكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم

القيامة الى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالايان به وقوله « يؤفك عنه » من افك أي يصرف عن الايمان بما كلفوا بالايان به « قتل الخراصون » أي الكذابون من أصحاب القول المختلف « الذين هم في غمرة ساهون » الغمرة الجهل العظيم يغمرهم ويشملهم تحول الماء الغامر لما فيه والسهو الغفلة وقال تعالى في أواخر سورة الانعام « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » فما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون « هذه الآية استغنى لبيان أحوال أهل الكتابين من بيان حال مشركين بناء على ما روى عن ابن عباس وقتادة أن الآية نزلت في اليهود والنصارى أي بسدوا دينهم وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم « وكثيرا شيعا » أي فرقا تشيع كل فرقة اماما وتابعة أي تقويه وتظهر أمره « أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة » وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة » وستتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة » واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ وأما بعده فالكل في الهاوية ان واختلفت أسباب

دخولهم . « لست منهم في شيء » أي من السؤال عنهم والبحث عن
تفرقهم أو من عقابهم أو أنت بريء منهم . « إنما أمرهم إلى الله .
تعليل للنفي المذكور أي هو يتولى وحده أمرهم أولاهم وأخراهم
ويدبره حسب مقتضيه الحكمة . ومن الناس من قال المفرقون أهل
البدع من هذي الأمة . فقد أخرج الحكيم الترمذي وابن جرير
والطبراني وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في قوله سبحانه « ان الذين فرقوا » الخ هم أهل البدع والاهواء
من هذه الامة فيكون الكلام حينئذ استئنافاً لبيان حال مبتدعين
اثر بيان حال المشركين ، اشارة الى أنهم ليسوا منهم ببعيد

والمقصود أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أو كتابيين قد
فرقوا دينهم وتغيروا في الاعتقاد فكان عباد الاصنام كل قوم
لهم صنم يدينون له ولهم شرائع مختلفة في عبادتها . ومنهم من كان
يعبد كوكبا ومنهم من كان يعبد الشمس ومنهم ومنهم . وكذلك
الكتابيون على ما بينا . فالافتراق ناشىء عن الجهل وإلا فالشريعة
أخقة في كل زمان لا تعدد فيها ولا اختلاف ، ولذلك ترى القرآن
يؤحد الحق ويعدد الباطل قل تعالى « الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت
يخرجونهم من النور إلى الظلمات » فانظر كيف أفرد النور الذي

هو الحق وجمع الظلمات التي هي الباطل والزيف ، فتفرقة الآراء والاختلاف في الاعتقاد من خصال الجاهلية وما كان عليه أهل الباطل ، والاتفاق على العقيدة الحقّة هو من دأب أتباع الرسل والمتمسكين بما شرعه الله تعالى

﴿ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ﴾

﴿ الثانية والستون ﴾ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم كما قال تعالى في سورة البقرة « وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نؤمن بما أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين » أي نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها ، ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر ، وفيه إيماء الى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم ، وإما أنفسهم ومعنى الأنزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام ، وفندوا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ، ودسائس اليهود مشهورة ونهاه الكلام في التفسير

﴿ الزيادة في العبادة ﴾

﴿ الثالثة والستون ﴾ : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم

عاشوراء

﴿ النقص من العبادة ﴾

﴿ الرابعة والستون ﴾ : النقص منها ، كتركهم الوقوف . قال

تعالى « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » أي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب عام والمقصود إبطال ما كان عليه الحمس من الوقوف بجمع فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كنت قریش ومن دان دينها يتقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله سبحانه « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ومعناه : ثم أفيضوا أيها الخجاج من مكان أفاض جنس الناس منه قديماً وحديثاً وهو عرفة لا من مزدلفة

﴿تعبدكم بترك الطيبات من رزق﴾

﴿الخامسة والستون﴾ : تعبدكم بترك أكل الطيبات من الرزق وترك زينة الله التي أخرج لعباده . قال تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة » . كتبت فحصل الآيات لتمامها . وسبب النزول عن ما روي عن ابن عباس انه كان آدم من الاعراب يطوفون بالبيت عرية حتى ان كانت امرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتعقب على سقمها سيورا مثل هذه : لسيور اني تكون على وجه الخمر من الثياب وهي تقول :
يوم ييسر بعضه أو كره يوم ييسر منه فلا أحد

فأنزل الله تعالى هذه الآية « يا بني آدم » اكلوا واشربوا مما طاب لكم ، قل السكبي كن أهل الجاهلية لا يكون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك . فأنزل الله تعالى الآية ومنه يظهر وجه ذكر الاكل والشرب هنا ولا تسرفوا

بتحريم الحلال كما هو المناسب بسبب النزول أو بالتعدي الى الحرام « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به « والطيبات من الرزق » أي من المستلذات وقيل المحللات من المأكول والمشروب كلحم الشاة وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى والكفرة ان شاركوهم فيها فبالتبعية خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم

﴿ تعبدكم بالمكاء والتصدية ﴾

﴿ السادسة والستون ﴾ تعبدكم بالمكاء والتصدية . قال تعالى في سورة الانعام « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » تفسير هذه الآية « وما كان صلاتهم عند البيت . أي المسجد الحرام الذي صدوا المسلمين عنه والتعبير عنه بالبيت للاختصار مع الاشارة الى أنه بيت الله تعالى فينبغي أن يعظم بالعبادة وهم لم يفعلوا الا مكاء أي صفيراً وتصدية أي تصفيفاً وهو ضرب من اليد بحيث يسمع منه صوت . والمراد بالصلاة . الدعاء أو الفعل أخر كانوا يفعلونها ويسمونها صلاة

وحمل المكاء والتصدية عليها بتأويل ذلك بأنها لا فائدة فيها ولا معنى لها كصفير الطيور وتصفيق اللاعب . وقد يقال المراد أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة التي تليق أن تقع عند البيت . يروى أنهم كانوا إذا أراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه بالصفير والتصفيق . ويروى أنهم يصلون أيضاً ويروى أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون . وباقي الآية معلوم . والمتصور أن مثل هذه الأفعال لا تكون عبادة بل من شعار الجاهلية . فما يقع اليوم بعض جهلة المسلمين في المساجد من المكاء والتصدية يزعمون أنهم يذكرون الله فهو من قبيل فعل الجاهلية . وما أحسن ما يقول القائل فيهم :

أقال الله صفق لي وغنّ وقل كفراً وسم الكفر ذكراً
وقد جعل الشارع صوت الملامحي صوت الشيطان ، قال تعالى
« واستغزز من استطعت منهم بصوتك ، واجلب عليهم بخيلك
ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعددهم وما يعشرون »
الشيطان الاغرورا»

﴿ النفاق في العقيدة ﴾

﴿ السابعة والستون ﴾ : دعواهم الايمان عند المؤمنين ، فاذا خرجوا خرجوا بالكفر الذي دخلوا به

﴿ دعاؤهم الى الضلال بغير علم ﴾

﴿ الثامنة والستون ﴾ : دعاؤهم الناس الى الضلال بغير علم

﴿ دعاؤهم الى الكفر مع العلم ﴾

﴿ التسعة والستون ﴾ : دعاؤهم الناس الى الكفر مع العلم

﴿ المنكر الكبير ﴾

﴿ السبعون ﴾ : المنكر الكبير . كفعل قوم نوح قال تعالى في سورة نوح عليه السلام « ومكروا مكراً كَبِيراً وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ أَهْلَكْنَا كَثِيراً وَلَا تَنْزِلْ وَدّاً وَلَا سِوَاءً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً » ومعنى المنكر الكبير والمنكر الكبير احتياله في الدين وصدقه بناس عنه وأغرائهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام . وهكذا فعل أخلاف هؤلاء منردة الدين وتباع

الهموي وعبيدة الدنيا يفعلون مع دعاة الحق كما فعل قوم نوح عليه السلام معه قد تشابهت قلوبهم . نسأله تعالى أن يعيد رجال الحق من كيد مثل هؤلاء الفجرة ويصونهم من مكرهم وقد جرّبهم فرأيت منهم خيائت بالمهين نستجير

مسألة علمائهم

الحادية والسبعون : أئمتهم إمام فاجر دام عبيد جاهل قال تعالى « أفستمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عاهدوا الله يعلمون ، وإذا لقوا الذين آمنوا قلوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قلوا أنحنوا نؤمنهم بما فتن الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولئك يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، ومنهم صبيون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإنهم إلا يفتنون الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ، فقد ذكر في الآية أن فريقاً من أسلاف اليهود وهم الأحرار كانوا يسمعون التوراة ويؤولونها تأويلاً فاسداً حسب أغراضهم بل كانوا يحرفونها بتبديل كلام من تلقائهم كما فعلوا ذلك في نعتهم صلى الله عليه وسلم

فانه روي أنه من صفاته فيها أنه أبيض ربعة فغيره باسحر طويل
 وغيره آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه كما في البخاري . ومنهم
 فريق أميون لا يعلمون الكتاب الا بالدعوى الكاذبة والمراد
 بهم جهلة مقلدة لا ادراك لهم . وتنام الكلام في هذا المقام يطلب
 من التفسير والمقصود أن تحريف الكلم واتباع الهوى والقول على
 الله من غير علم من خصال الجاهلية وانت تعلم حال أخبار السوء
 اليوم والرهبان الذين يقولون على الله مالا يعلم قد تجاوزوا الحد
 في اتباع الهوى وتأويل النصوص وما اشبه ذلك مما يستحي منه
 الاسلام والامر لله

﴿ زعمهم أنهم أولياء الله ﴾

﴿ الثانية والسبعون ﴾ : زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس
 دليل هذه المسئلة قوله تعالى في سورة الجمعة « قل يا أيها الذين
 عادوا » أي تهودوا أي صدروا يهوداً « ان زعمتم أنكم أولياء الله »
 أي أحبائه سبحانه ، ولم يضاف أولياء اليه تعالى كما في قوله سبحانه
 « الا أن ولياء الله ليؤذن بالفرق بين مدعى الولاية ومن يخصه بها
 فمن دون الناس ، أي متجاوزين عن الناس « فتمنوا الموت » أي فتمنوا
 من الله تعالى ان يميتكم وينتقم من دار البلية الى محل الكرامة

«ان كنتم صادقين» في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن انه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الانكار والا كدار . وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقول لهم ذلك اظهاراً لكذبهم فانهم كانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون ان الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، كما أخبر تعالى عن الكتابيين في كتابه فقال جل شأنه « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وروى انه لما ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر : ان اتبعتم محمداً أطعناه وان خالفتموه خالفناه . فقاتلوا نحن أبناء خليل الرحمن ومن عزيز ابن الله والأنبيا و متى كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه . فنزلت « قل يا أيها الذين هادوا » الآية « ولا يتمنوه أبداً » اخبار بحالهم المستقبل وهو عدم تمنهم الموت وذلك خاص بأولئك الخطابين وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه فم يتمنه أحد منهم وما ذلك إلا لانهم كانوا موقنين

بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فاعلموا أنهم لو تمنخوا لما اتوا من
ساعتهم ولحقهم الوعيد. وهذه إحدى المعجزات « بما قدمت أيديهم »
أي بسببه كأنه قيل انتفى تمنيههم بسبب ما قدمت والمراد بما قدمته
أيديهم الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من
بين جوارح الانسان مناط عامة أفعاله عبث بها تارة عن النفس
وأخرى عن القدرة « والله عليهم بالظالمين » أي بهم وإيثار الاظهار
على الاضرار لذهمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون
ويندرون من الأمور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل أي
والله عليهم بما صدر منهم من فنون الظلم والمعاصي وبما سيكون
منهم فيجازيهم على ذلك « قل ان الموت الذي تفرون منه » ولا
تجسرون على ان تمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال أفعالكم « فانه
ملاقيكم » أثبتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة » الذي لا تخفى عليه خافية « فينبئكم بما كنتم
تعمنون » من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها وهذا ديدن الزائفين
وشأن الملحدين كما قل تعالى عن اليهود « نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق » . وقد ورث هذه
الخصلة كثير من ينتمى الى الملة الإسلامية بل كل من الفرق
من يقول نحن أولياء الله مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

قال في حديث الفرق في بيان الفرقة الناجية : وهم ما أنا عليه وأصحابي .

﴿ دعوى محبة الله مع ترك شرعه ﴾

﴿ الثالثة والسبعون ﴾ : دعواهم محبة الله مع ترك شرعه فطالبهم سبحانه بقوله في سورة آل عمران « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . قال الحسن وابن جريج : زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فقلوا يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس قل وقف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف ^(١) وهم يسجدون لها فقال : يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل ولقد كانا على الاسلام . فقالت قريش يا محمد إنما نعبد هذه حباً لله لتقربنا إلى الله زلفى فأنزل الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله اخ » . وفي رواية أبي صالح أن اليهود

(١) الشنف القرط الأعى أو معلق في قوف الأذن أو معلق في أعلاها وأما ما علق في أسفلها فقرط . حمه شنوف

لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله هذه الآية فلما نزلت عرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اليهود فأبوا ان يقبلوها . وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : نزلت في نصارى نجران وذلك أنهم قالوا انما نعظم المسيح نعبده حباً لله وتعظيماً له فأُنزل الله تعالى هذه الآية ردّاً عليهم . وبالجملة ان من تلبس بالمعاصي لا ينبغي له ان يدعى محبة الله وما أحسن قول القائل :

تعصى الأله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع

﴿ تمنيههم على الله الامانى الكاذبة ﴾

﴿ الرابعة والسبعون ﴾ : تمنيههم على الله تعالى الامانى الكاذبة قال تعالى في سورة آل عمران « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى غريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » . أخرج ابن اسحاق وجماعة عن ابن عباس قل : دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال النعمان بن

عمر و الخارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال على ملة
 ابراهيم ودينه قلا فان ابراهيم كان يهودياً فقال لها رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم فهما الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأيتنا
 عليه فأنزل الله تعالى الآية . وفي البحر : زنى رجل من اليهود
 بامرأة ولم يكن بعد في ديننا الرجم فتحاكموا الى رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم تخفيفاً على الزانيين لشرفهما فقال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : انما أحكم بكتابكم ، فأنكروا الرجم
 فجيء بالتوراة فوضع جرحهم بن صور يا يده على آية الرجم فقال
 عبد الله بن سلام جوزها يا رسول الله فظهرها فرجما فغضبت
 اليهود فترلت . ومعنى قوله « ذلك بأنهم قلوا ان تمس النار إلا أياما
 معدودات » أي المذكور من التولي والاعراض حاصل لهم بسبب
 هذا القول الذي رسخ اعتقادهم له وهو نوا به الخطوب ولم يبالوا
 معه بارتكاب المعاصي والذنوب . والمراد بالأيام المعدودات أيام
 عبادتهم العجل « وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » أي غرهم
 اقتراؤهم وكتابتهم أو الذي كانوا يفترونه من قوهم : لن تمس النار
 أو من قوهم : نحن أبناء الله وأحبود ، أو مما يشمل ذلك ونحوه
 من قوهم : ان آباءنا الأنبياء يشفعون لنا وأن الله تعالى وعده يعقوب
 ان لا يعذب أبناءه الا تحلة التسم فرد عليهم بقوله سبحانه « فكيف

إذا جمعناهم إلخ . روى أنه أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم إلى النار . وهكذا رأينا كثيراً من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات اعتماداً على الشفاعة أو على علو الحساب وشرف النسب والله المستعان . وفي سورة البقرة « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً قلن بخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

﴿ اتخاذ قبور الصالحين مساجد ﴾

﴿ الخامسة والسبعون ﴾ : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد . هذه المسئلة من خصال الكتائبين أيام جاهليتهم وفي ذلك ورد الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ثم قال « فلا تتخذوها مساجد » وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي لفظ مسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قال : لما نزل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طفق يطرح خميصة له

على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال : وهو كذلك لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة : أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنيسة رأيناها بأرض الحبشة يقال لها مارية وذكرتا من حسناتها وتصاوير فيها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » وعن ابن عباس قال « لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواد أهل السنن الأربعة فهذا التحذير منه واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة وفي هذا دليل على الحذر عن جنس أعمالهم حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن يكون من هذا الجنس . ثم من المعلوم ما قد ابتلى به كثير من هذه الامة من بناء القبور مساجد واتخاذ القبور مساجد بلا بناء وكلا الأمرين محرم ملعون فعنه بالاستفيعض من السنة وليس هذا موضع استقصاء ما في ذلك من سائر الأحاديث والآثار ولهذا كان نسلف يبالغون في المنع

﴿ اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ﴾

﴿ السادسة والسبعون ﴾ : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ورد عن عمر رضي الله عنه فان هذه المسئلة أيضاً من بدع جاهلية الكتابيين كانوا يتخذون آثار أنبيائهم مساجد فوزنهم الجاهلون من هذه الامة قترام يبنون على موضع اختفى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو وصل قدمه المبارك اليه أو تعبد فيه ، وهذا ليس مما يحمد في الشريعة جره الى الغلو . وفي العراق مواضع كثيرة بنوا عليها مباني كالثمام الذي زعموا ان الشيخ الكيلاني تعبد فيه وكأثر الكف الذي زعم الشيعة انه أثر كف الامام علي ما وضعه على الصخرة فأثر فيها فبنوا عليها مسجداً وكعدة أما كن زعموا ان انخضر رؤي فيها ولا أصل له ، الى غير ذلك مما لا يستوعبه المقام فينبغي لمن يدعي الاسلام ان يتجنبها وينهي عن حضورها وان رمى بالانكار وعداوة الاشرار وكيد المارقين الفجار . وفي المسئلة تفصيل لا بأس بذكره قل شيخ الاسلام : اما مقامات الانبياء والصالحين وهي الامكنة التي قاموا فيها أو أقاموا أو عبدوا الله سبحانه لكنهم لم يتخذوها مساجد فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء المشهورين : أحدهما النهي عن ذلك وكراهته

وانه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا ان يكون قصدها للعبادة
 مما جاء به الشرع مثل ان يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام ابراهيم وكما كان يتحرى
 الصلاة عند الاسطوانة وكما تقصد المساجد للصلاة ويقصد الصف
 الاول ونحو ذلك . والقول الثاني أنه لا بأس باليسير من ذلك كما
 نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى قصد المواضع التي سلكها النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 سلكها اتفاقاً لا قصداً . وسئل الامام احمد عن الرجل يأتي هذه
 المشاهد وينذهب اليها ترى ذلك ؟ قل أما على حديث ابن أم مكتوم
 أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي في بيته حتى يتخذ
 ذلك مصلى وعلى ما كان يفعل ابن عمر يتبع مواضع النبي صلى الله
 تعالى عليه وسلم وأثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد
 إلا أن الناس قد أفرضوا في هذا جداً وأكثروا فيه . وكذلك
 نقل عنه احمد بن القاسم أنه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد
 التي بالمدينة وغيره ينذهب اليها فقال أما على حديث ابن أم
 مكتوم أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فيصلي في
 بيته حتى يتخذ مسجداً وعلى ما كان يفعل ابن عمر كان يتبع مواضع
 سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أنه رؤي يصيب في موضع

ماء فستل عن ذلك قتال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يصب هنا ماء قال أما على هذا فلا بأس قال ورخص فيه ، ثم قال
ولكن قد أفرط الناس جداً وأكثروا في هذا المعنى فذكر قبر
الحسين وما يفعل الناس عنده رواها الخلال في كتاب الادب فقد
فصل أبو عبد الله في المشاهد وهي الامكنة التي فيها آثار الانبياء
والصالحين من غير ان تكون مساجد لهم كواضع بالمدينة بين القليل
الذي لا يتخذونه عيداً أو الكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم وهذا
التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة. فانه قد روى البخاري
في صحيحه عن موسى بن عقبة قال رأيت سالماً بن عبد الله يتحرى
أما كن من الطريق ويصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه
رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في تلك الامكنة فهذا كما
رخص الامام احمد . وأما كراهته فروى سعيد بن منصور في
سننه قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الاعمش عن المعرور بن
سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر
بألم تركيف فعل ربك بأصحاب الغيل ولا يلاف قريش في الثانية
فلما رجع من حجته رأى الناس يتدروا المسجد فقال ما هذا
فقالوا مسجد صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقال
هكذا هناك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعة من

عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض
فقد كره عمر اتخاذ مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عيداً وبين
ان أهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم
ويتخذونها كنائس وبيعا . وروى محمد بن وضاح وغيره أن عمر
ابن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لان الناس كانوا يذهبون تحتها نخاف عمر الفتنة عليهم
وما ذكره عمر هو الحري بالقبول وهو مذهب جمهور الصحابة
غير ابنه وهو الذي يجب العمل به ويعول عليه

﴿ اتخاذ السرج على القبور ﴾

﴿ السابعة والسبعون ﴾ : اتخاذ السرج على القبور . دليل حرمة
ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديث
الذي سبق ذكره من لعن من يفعل ذلك وليتك رأيت ما يوقد
في ترب أئمة أهل البيت ونحوها من الشموع ولا سيما في ليالي رمضان
والليالي المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿ اتخاذ القبور أعياداً ﴾

﴿ الثامنة والسبعون ﴾ : اتخاذ أعياداً اعلم ان العيد اسم لما
يعود من الاجتماع العام على وجه معتد عتداً ما تعود السنة أو يعود
الاسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عتد

كيوم الفطر ويوم الجمعة . ومنها اجتماع فيه . ومنها أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات . وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً . هؤلاء مسلمو أهل العراق لكل تربة ولي يوم مخصوص يجتمعون فيه للزيارة كزيارة الغدير ومرد الرأس . ومنهم من خص له يوم من أيام الاسبوع فالجمعة لفلان والثلاثاء لفلان وهكذا ومن ذلك بعض الايام والليالي المباركة كليلة القدر وأيام الاعياد وليلة النصف من شعبان وغير ذلك مما لم ينزل الله به من سلطان

﴿ الذبح عند القبور ﴾

﴿ التاسعة والسبعون ﴾ : الذبح عند القبور قال الله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » أمره الله ان يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويندبحون له أي أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام ويندبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى فمن تقرب لغير الله ليدفع عنه ضيراً أو يجلب له خيراً تعظيماً له من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الاوثان وسبب مشروعية التسمية تخصيص مثل

هذه الامور العظام بالاله الحق المعبود العلام فاذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمنع . وصح نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن استأذنه بالذبح ببوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أكان فيها صنم ؟ قل : لا . قل : فهل كان فيها عيد من أعياد المشركين ؟ قل : لا . قل له « فأوف بنذرك » أخرج ذلك أبو داود في سننه . وهذا السائل موحّد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده لكن المكان الذي فيه معبود غير الله وقد عدم أو محل لاجتماعهم يصلح مانعاً فلما علم صلى الله تعالى عليه وسلم ان ليس هناك شيء من ذلك أجاز . ولو علم شيئاً مما سئل عنه منعه صيانة لحي التوحيد وقطعاً لنذريّة الشرك . وصح أيضاً عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قل « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قل : مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . قالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب قل : ما كنت أقرب شيئاً لاحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » ففي هذا الحديث من التوائد كون المقرب دخل النار بالسبب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم وان كان مسلماً وإلا لم يقل دخل النار . وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر فتأمل في ذلك وانظر

الى فؤادك في جميع ما قالوه وألق سمعك لما ذكروه وانظر الحق
فان الحق أبليج والباطل جليج . فبالنظر التام الى ما كان عليه
المشركون من تقربهم لأوثانهم لتقريبهم الى الله لكونهم شفعاء
لهم عند الله وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله أو ملائكة الله وأولياء
الله يتبين لك ما عليه الناس الآن . والله المستعان

﴿التبرك بآثار المعظمين﴾

في الثمانون : التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة وافتخار
من كان تحت يده بذلك كما قيل لحكيم بن حزام بعت مكرمة
قريش فمقال ذهبت المكارم إلا التقوى هذه الخصلة قد امتدت
عروق ضلائها في أودية قلوب جهلة المسلمين وزادوا في الغلو بها
على ما كان عليه جاهلية العرب والكتابين ولا بدع من حكيم
ابن حزام القرشي الأسدي اذا مارد على من قال له : بعت
مكرمة قريش وقد باعها من معاوية بمائة ألف درهم : ذهبت المكارم
إلا التقوى كيف لا وقد كان عقلا سرياً فاضلاً تقياً سيداً بماله غنياً
أعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير وحج في الاسلام
ومعه مائة بدنة قد جلتها بالخبرة وكفها عن اعجازها وأهداها ووقف
بمائة وصيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها عتقاء
الله عن حكيم بن حزام وأهدى ألف شاة وهو الذي عاش في

الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة وولد في السكبة

(الحادية والثمانون) : الفخر بالاحساب

(الثانية والثمانون) : الاستسقاء بالانواء

(الثالثة والثمانون) : الطعن في الانساب

(الرابعة والثمانون) : النياحة . أقول : هذه المسائل الاربع

دليل بطلانها حديث واحد وهو ما رواه البخاري ومسلم واللفظ
لمسلم بسنده الى أبي مالك الاشعري أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حدثه قال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر
في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والناحية
أوقل النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقدم يوم القيامة وعليها سربال
من قطران ودرع من جرب « الفخر في الاحساب افتخارهم بمفاخر
الآباء . والطعن في الانساب ادخلهم العيب في أنساب الناس
تحقيراً لا بآئهم وتفضيلاً لا بآباء أنفسهم على آباء غيرهم . والاستسقاء
بالنجوم اعتقادهم نزول المضر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر
وطلوع آخر يقابله من المشرق فقد كانوا يقولون مطرنا بنوء
كذا وقال تعالى « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » وهذا
مفصل في كتب الانواء بما لا مزيد عليه . ومعنى قوله في النائحة :
وعليها سربال من قطران ان الله تعالى يجازيها بلباس من قطران
لأنها كانت تلبس الشياح السود . وقوله درع من جرب يعني

يسلط على أعضائها الجرب والحسكة بحيث يغطي بدنها تغطية
الدرع وهو القيصص لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب
ذوي المصيبات . فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل
الجاهلية من هذه الخصال الرديئة، وورثتهم اليوم من هذه الامة
تجاوزوا فيها أسلافهم وزادوا في الطنبور نعمات فتراهم يفتخرون
بمزايا آبائهم وهم بمراحل عنهم ، فهذا يقول كان جدي
الشيخ الفلاني وهذا يقول جدي العالم الرباني الى غير ذلك .
وكذلك الطعن في الانساب، فهذا يقول إن آباء فلان لم يكونوا من
العترة الطاهرة وذاك يقول ان آباء فلان لم يكونوا من ذوي
الاحساب الباهرة . وكذلك الاستسقاء بالأنواء ولم يعتد كثير
من الناس أن ما كان من فعل رب الأرض والسماء . وهكذا
النوح على الأموات فقد اتخذ كثير من الناس من أفضل الأعمال
وسبب الوصول الى مرضاة ذي الجلال لا سيما من اتخذ المآتم
الحسينية في كل عام فهناك من البدع ما تكل عن نقله السنة
الأقلام والويل كل الويل لمن أنكر شيئاً من ذلك فانهم يوردونه
موارد العطب والمهلك . والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ تعبير الرجل بفعل أمه وأبيه ﴾

﴿ الخامسة والثمانون ﴾ : تعبير الرجل بفعل غيره لا سيما

أبوہ وأمه نغالفهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال « أعيرته بامه ؟
 انك امرؤ فيك جاهلية » والحديث في صحيح الامام البخاري في
 باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا
 بالشرك لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : انك امرؤ فيك
 جاهلية وقول الله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء » . وهذا الباب في كتاب الايمان من
 صحيحه ثم قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل
 عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه
 حلة فسألته عن ذلك فقال : أني ساءيت رجلا فعيرته بامه فقال لي
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يا أبا ذر أعيرته بامه ؟ انك امرؤ
 فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم فمن
 كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا
 تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » وقد أطنب شرح
 الحديث في شرحه وليس هذا موضع استقصائه . والمقصود منه
 أن تعير الرجل بفعل غيره ليس من شأن كامل الايمان والمعرفة .
 فان أبا ذر رضي الله تعالى عنه قبل بلوغه المرتبة القصوى من
 المعرفة تساب هو وبلال الحبشي المؤذن فقال له : يا ابن السوداء
 فم شكا بلال الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له
 « شتمت بلالا وعيرته بسواد أمه ؟ قال : نعم . قال حسبت أنه بقي

فيك شيء من كبر الجاهلية» فألقى أبو ذر خده على التراب ثم قال :
لا أرفع خدي حتى يطاء بلال خدي بقدمه . والناس اليوم والأمر
لله قد كثرت فيهم خصال الجاهلية فتراهم يعيرون أهل البلد كلهم
بما صدر عن واحد منهم فأين من ذلك خصال الجاهلية

❦ الافتخار بولاية البيت ❦

❦ السادسة والثمانون ❦ : الافتخار بولاية البيت . قدمهم الله
تعالى بقوله : « مستكبرين به سامراً تهجرون » وهذه الآية
في سورة المؤمنين وهي بتمامها قوله تعالى « قد كانت آياتي تُتلى
عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً
تهجرون » ومعنى هذه الآية على ما في التفسير قد كانت آياتي
تتلى عليكم لتعليل لقوته قبل « لا تجأروا اليوم انكم من لا
تنصرون » أي دعوا الصراخ فانه لا يمنعكم منا ولا ينفعكم عندنا
فقد ارتكبتم أمراً عظيماً وإثمًا كبيراً وهو التكذيب بالآيات فلا
يدفعه الصراخ فكنتم عند تلاوتها على أعقابكم تنكصون أي تعرضون
عن سماعها أشد الأعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها .
والنكوص : الرجوع . والأعقاب : جمع عقب وهو مؤخر الرجل
ورجوع الشخص على عقبه رجوعه في طريقه الأول كما يقال :
رجع عوده على بدئه « مستكبرين به » أي بالبيت الحرام ، والباء

للسببية وسوغ بهذا الاضرار مع أنه لم يجز ذكر اشتهار استكبارهم
 وافتخارهم بأنهم خدام البيت وقوامه « سامراً » أي تسرون بدكر
 القرآن والطعن فيه وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول البيت يسرون
 وكانت عمة سحرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً « ونهجرون »
 من الهجر بفتح فسكون بمعنى القطع والترك والجملة في موضع الحال
 أي تاركين الحق والقرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على
 تقدير عود ضربه له وجاء الهجر بمعنى الهذيان وجوز أن يكون
 المعنى عليه أي تهذون في شأن القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم أو أصحابه أو ما يعبر جميع ذلك ويجوز أن يكون من الهجر
 بضم فسكون وهو الكلام القبيح فأنكر الله تعالى عليهم بقوله :
 « أفلم يدبروا القول » ليعلموا بما فيه من وجود الإعجاز انه الحق
 من ربهم فيؤمنوا به « أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » أي بل
 جاءهم الخ . والمقصود أن من خصال الجاهلية التكبر بسبب
 الرياسة على المواضع المقدسة كما هو اليوم حال كثير ممن يدعى
 الشرف بسبب ذلك . فمنهم من ادعى الشرف على المسلمين
 بسبب رياسته على مكة والمدينة ومنهم من ادعاه بسبب الرياسة في
 المشاهد أو مقامات الصالحين هؤلاء الذين يدعون انتسابهم الى
 عبد القادر الجيلاني في بغداد يدعون الشرف بسبب رياستهم على قبر

عبد القادر واستيلائهم على النذور والصدقات والذبايح والقرايين
الشركية التي يتعبد بها جهلة المسلمين من الهنود والأكراد
ونحوهم وهم أفسق خلق الله وأدناهم نفساً وأرذل خلق الله مسلوكا
فما يفيدهم ذلك عند الله شيئاً وما ينجيهم من مقت الله وعذابه
وان ظن بهم العوام ما ظنوا فهم عند الله وعند عباده للصالحين
أحق من الدر وأبعدهم عن رحمته يوم القيامة

﴿ الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء ﴾

﴿ السابعة والثمانون ﴾ : الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء
عليهم السلام . فردّ الله عليهم بقوله « تلك أمة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » هذه
الآية في آخر الجزء الأول من سورة البقرة وتفسيرها « تلك
أمة قد خلت » الإشارة الى ابراهيم عليه السلام وأولاده في قوله
« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » الخ . والامة أمت لمعان
والمراد بها هنا الجماعة من أم بمعنى قصد وسميت كل جماعة بجمعهم
أمر ما إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان بذلك لأنهم
يؤم بعضهم بعضاً ويقصده . والخلو : المضي ، وأصله الانفراد لها

ما كسبت ولكم ما كسبتم ، والمعنى أن انقسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم وإنما تفتفعون بمواقفتهم واتباعهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « يا معشر قريش ان أولى الناس بالنبي المتقون ، فكونوا بسبيل من ذلك فانظروا أن لا يلقاني الناس يحملون الأعمال وتلقوني بالدنيا فأصد عنكم بوجهي » وهذا الحديث بمعنى قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ومعنى قوله « ولا تسئلون عما كانوا يعملون » لا تؤاخذون بسبائهم كما لا تثابون بحسناتهم . وهذه الخصلة موجودة اليوم في كثير من المسلمين ورأس ما لهم الافتخار بالأباء : فمنهم من يقول : أنا من ذرية عبد القادر الكيلاني ومنهم من يقول أنا من ذرية أحمد الرفاعي ، ومنهم من يقول أنا بكري ، ومنهم من يقول أنا عمري ، ومنهم من يقول أنا علوي أو حسني أو حسيني ولا فضيلة لهم ولا تقوى وكل ذلك لا ينفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، ورسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم يقول لفاطمة « يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا » وما قصد أولئك المفتخرين بأبائهم وهم عارون عن كل فضيلة الا أكل أموال الناس بالباطل . وفي المثل (كن عصاميا ولا تكن عظاميا) ان الفتى من يقول ها أناذا ليس الفتى من يقول كان أبى

ولله حرة من قال يردُّ على المفتخر بمثل ذلك :
 أقول لمن غدا في كل يوم يباهينا بأسلاف عظام
 أتقنع بالعظام وأنت تدري بأن الكلب يقنع بالعظام
 وقال آخر :
 وما الفخر بالعظم الرميم وإنما نخار الذي ينبغي الفخار بنفسه

﴿ الافتخار بالصنائع ﴾

﴿ الثامنة والثمانون ﴾ : الافتخار بالصنائع . كما افتخر أهل
 الرحلتين على أهل الحرث، يريد بالرحلتين رحلة الشتاء الى اليمن
 ورحلة الصيف الى الشام وهي عادة كانت لقريش كما ذكر ذلك
 في سورة الايلاف . والمقصود أنه لا ينبغي للتاجر أن يفتخر
 بتجارته على أهل الحرث ولا أهل كل حرفة على المحترفين بحرفة
 أخرى فإن كل ذلك من المكاسب الدنيوية التي يتوصل بها الى
 عبادة الله وطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ليتوصل
 بذلك الى النجاة الأبدية وهي مدار الفخر ، وأما ما سوى ذلك فكله
 ظل زائل ونعيم غير مقيم فلا ينبغي للعاقل أن يفخر بزخارف
 الدنيا الدنيئة ولا يعلم متى يفارقها . نسأله تعالى التوفيق والعمل
 الصالح الذي يرضيه

﴿عظمة الدنيا في قلوبهم﴾

﴿التاسعة والثمانون﴾ : عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» أي من خصال الجاهلية مراعاة الدنيا وعظمتها في قلوبهم كما حكى الله عنهم ذلك بقوله «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون» هذه الآية في سورة الزخرف وموضع الاستشهاد فيها قوله «وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» المراد من القريتين مكة والطائف . قال ابن عباس الذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي والذي من الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وكل منهما كان عظيماً ذا جاه ومال وكان الوليد بن المغيرة يسمى ربحانة قريش وكان يقول لو كان ما يقول محمد حقاً لنزل على أو على أبي مسعود يعني عروة بن مسعود وكان يكنى بذلك وهذا باب آخر من انكارهم للتسوية وذلك أنهم أنكروا أولاً أن يكون النبي بشراً ثم لبسوا بكتوا بتكوير الحجج والميقن عندهم تصور رواج لذلك جاءوا بالانكار من وجه آخر فحكموا على

الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين وقولهم «هذا القرآن» ذكر له على وجه الاستهانة لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل إنكاراً كأنه قيل هذا الكذب الذي يدعيه لو كان حقاً لكان الحقيق به رجل من القريتين عظيم وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنما تستدعى عظيم النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية والتحلي بالكلمات والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية ، فأنكر سبحانه عليهم بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك» وفيه تهجيل وتعجيب من تحكمهم نزول القرآن العظيم على من أرادوا «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ، ولم نفرض أمرها اليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية «ورفعنا بعضهم فوق بعض» في الرزق وسائر مبادئ المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسباً تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وغنى وفقير وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم . «ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» ليستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويترافدوا ويصلوا إلى مراقبتهم لالكمال في الموسع عليه ولانقص في المقتر عليه ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فإذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية

وهو على طرف التمام بهذه الحالة فماظنهم بأنفسهم في تدبير أنفسهم وفي تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط الصيوق ، ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها وفي قوله تعالى «نحن قسمنا» الخ مايزيد في الانكباب على طلب الدنيا ويعين على التوكل على الله عز وجل والانقطاع إليه جلّ جلاله

فاعتبر نحن قسمنا بينهم تلقه حقا وبالحق نزل
«ورحمة ربك خير مما يجمعون» أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الدنية فالعظيم من رزق تلك الرحمة دون ذلك الحطام الدنيء الفاني . وأنت تعلم أن كثيرا من الناس اليوم على ما كان عليه أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فتراهم لا يعتبرون العلم إذا كان صاحبه فقير الحال وينظرون إلى الغني ويعتبرون أقواله ، والله درّ من قل (١) :

رُبَّ عِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَسَاءِلِ وَجَهْلُ غَطْيِ عَلَيْهِ النِّعَمِ

﴿ازدراء الفقراء﴾

﴿التسعون﴾ : ازدراء الفقراء فنزل سبحانه قوله «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» . أقول

(١) هو حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . والمشهور : رب

هذه الآية في أوائل سورة الانعام وبيان معناها متعلق بما قبلها وهو قوله تعالى « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » فلما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار المذكورين لعلمهم ينتظمون في سلك المتقين نهى عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم ويفهم من بعض الروايات ان الآيتين نزلتا معاً ولا يفهم ذلك من البعض الآخر فقد أخرج الامام احمد والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : مرّ الملاء من قريش على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا محمد رضيت هؤلاء من قومك أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم أن تتبعك . فأنزل الله تعالى فيهم القرآن « وأنذر به الذين » الى قوله سبحانه « فتكون من الظالمين » . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل وغيرهم عن خباب قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في اناس ضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم

حوله حقروهم فأتوه نفلوا به فقالوا نحب أن نجعل لنا منك مجلساً
تعرف لنا العرب به فضلنا فإن وقود العرب تأتيك فتستحي أن
ترانا قعوداً مع هؤلاء الاعبيد فإذا نحن جئناك فاقهم عن فإذا نحن
فرغنا فاقعدهمهم ان شئت قال نعم قالوا فاكاتب لنا عليك بذلك كتاباً
فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل
جبريل بهذه الآية « ولا تطرد الذين الحق » ثم دعا فأتيناه وهو
يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه
فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فنزل الله تعالى « واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد
عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » فكان رسول الله ﷺ يقعد مع
فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها ثمنا وتركنه حتى يقوم . وأخرج ابن
المنذر وغيره عن عكرمة قال مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقرظة
ابن عبيد عمرو بن نوفل والحرث بن عامر بن نوفل ومطعم بن
عدي في أشرف الكفار من عبدة مذفاني أبي طالب فقلوا :
لو ان ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الاعبيد والخلفاء كان أعظم له في
صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتبنا إياه وتصديقه فذكر
ذلك أبو طالب للنبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب لو فعلت يا رسول
الله حتى تنظر ما يريدون بقومهم وما يصيرون اليه من أمرهم فنزل

الله سبحانه « وأنذر به الذين يخافون » الى قوله سبحانه « أليس الله بأعلم بالشاكرين » وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالم مولى حذيفة وصبيحاً مولى أسيد والحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمر بن عبد عمرو ومرثد بن أبي مرثد وأشباههم ونزل في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » فلما نزلت أقبل عمر فاعتذر من مقالته فانزل الله تعالى « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا » وقوله « ما عليك من حسابهم من شيء » جملة معترضة بين النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً لما عسى أن يتوهم كونه مسوغاً لطرده المتقين من أقويال الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا « ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي » والمعنى ما عليك شيء مما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة كما يقوله المشركون حتى تتصدى له وتبنى على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك حسبها هو شأن منصب الرسالة النظر الى ظواهر الامور واجراء لأحكام على موجبها ، وتفويض البواطن وحسابها الى اللطيف الخبير ، وظواهر هؤلاء دعاء ربهم بالغداة والعشي . وروى عن ابن زيد ان المعنى ما عليك شيء من حساب رزقهم أي من فقرهم والمراد لا يضررك فقرهم شيئاً ليصح لك الاقدام على ما أرادته المشركون منك فيهم وقوله « وما من حسابك عليهم من شيء » عطف

على ما قبله وجيء به مع أن الجواب قد تم بذلك مبالغة في بيان كون انتفاء حسابهم عليه بنظمه في سلك مالا شبهة فيه أصلا وهو انتفاء كون حسابه ^{سببا} عليهم فهو على طريقة قوله سبحانه « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » في رأى وقال الزمخشري أن الجملتين في معنى جملة واحدة تؤدي مؤدًى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وحينئذ لا بد من الجملتين وتعقب بأنه غير حقيق بجلالة التنزيل وقوله « فتكون من الظالمين » جواب للنهي

﴿ انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث ﴾

﴿ الحادية والتسعون ﴾ : عدم الايمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والكلام على ذلك مفصل في التفسير وكتب الحديث والعقائد والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل يلى ورنى لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير » ومن الشعر الجاهلى في انكار البعث والنشور :

وماذا بالقلب قلب بدر من الشيزى تزين بالسند

وماذا بالقلب قلب بدر من القيند والشرب انكرام

نحين السلامة أم بكر فهل لى بعد قومي من سلام

بحدث الرسول بأن منحييا وكيف حية اصدام وهم

وقال آخر :

حياة ثم موت ثم نشء حديث خرافة يأثم عمرو
ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى ﴿ وقالوا إذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ﴾ وقد تكلمنا
على معتقدات الجاهلية وأديانهم في غير هذا الموضع
﴿ إيمانهم بالجبت والطاغوت ﴾

﴿ الثانية والتسعون ﴾ : الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل
دين المشركين على دين المسلمين قال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾ وقد تقدم الكلام
على ذلك مفصلا . والمقصود هنا أن جهلة الكتابيين كانوا
يقولون للمشركين أنتم أهدى من المسلمين وما عندكم خير مما
عليه محمد وأصحابه . وترى المتصوفة والغلاة اليوم على هذا المنهج
يقولون إن دعاة أهل القبور والغلاة خير ممن يمنع عن ذلك من
أهل التوحيد وحفاظ السنة

﴿ كتمان الحق مع العلم به ﴾

﴿ الثالثة والتسعون ﴾ : كتمان الحق مع العلم به . كما حكى الله

ذلك عن أحبار بني إسرائيل من اليهود والنصارى فقد كتبوا ما ورد في كتبهم من البشائر المحمدية وهم يعلمون بورودها وذكرها في كتبهم والكلام في هذا الباب مفصل في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام فعليك به فإنه كتاب لم يؤلف مثله

﴿القول على الله بلا علم﴾

﴿الرابعة والتسعون﴾ : القول على الله بلا علم وهو أساس كل فساد وأصل الضلال وأكثر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين فقد تكلموا في الصفات الالهية بما لم ينزل الله بها من سلطان وأوتوا نصوص الشريعة بما تهووا أنفسهم كما فعله الرازي في كتابه أساس التقديس وجرى الله شيخ الاسلام خيراً فقد رد عليه ونقض أساسه وسجل ضلاله وجهله وضيق أنفاسه «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»

﴿التناقض﴾

﴿الخامسة والتسعون﴾ : التناقض الواضح قل تعالى : بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج، وهكذا أهل البدع من الغلاة وغيرهم يدعون الاسلام ويعملون أعمالاً تناقض ما هم عليه من الدين

﴿الكهانة وما في حكمها﴾

﴿السادسة والتسعون - والسابعة والتسعون - والثامنة والتسعون - والتاسعة والتسعون - والمائة﴾ : العيافة ، والطرق والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ونحو ذلك . وقد تكلمنا على هذه الامور في كتابنا (بلوغ الأرب في أحوال العرب) بما لا مزيد عليه وذكرنا هناك أو ابداهم وخرافاتهم وسائر ضلالاتهم . وكل ذلك من أعمال جهلة المسلمين اليوم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا



وغالب مسائل الاصل رؤوس مسائل في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومن أراد التفصيل فليرجع اليه . وهذا آخر ما أردنا شرحه من المسائل التي أبطلها الاسلام . والحمد لله ولي الانعام . والصلاة والسلام على خير الانام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان

في هذي الحجة وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ هـ